سلسبيل من حبها ارتويت

ديوان العرب للنشر والتوزيع

اســـــم الكتاب: سلسبيل من حبها ارتويت
اســـم المؤلف: آية أيمن مسعود
التصنيـــــــف: رواية
الحجـــــــــم: 14 - 20
عدد الصفحات: 138
سنة الإصـــدار: 2025
رقـــم الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: 13197 / 2025
الترقيم الدولي: 4 – 187 – 971 – 977 - 978

تدقيـــق لغوي: فريق ديوان العرب
تصميم غـــلاف: شيماء منير
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

للتواصل: dewanalarabegypt@gmail.com
واتساب: 01030502390

سلسبيل من حبها ارتويت

رواية

آية أيمن مسعود

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

إهداء

ولا كان الحب عمره بإختيارنا.. دا كان قدرنا وبإيدنا إيه....
سلمنا قلوبنا دوبنا و بعيونا... أنا وانتِ شوفنا الحب إيه!
وعرفتى الحب بيا عرفته بيكِ.. ولا عمر الحب بينا مرة تاه..
وإن مرة غنى قلبي يغني ليكِ..ويارب نعيش كدا طول الحياة..
إلى سلسبيل حُبي الأول والأخير.

آية أيمن مسعود

****

المقدمة

«الحب الحقيقي لا يُوضع في خانة طي النسيان بل يثمر ويظل مُزهرًا لتستنشق عبيرهُ، ومهما اختلفت الظروف الله قادر أن يجمعك بأُمنيتك التي طال غيابها.. فتتحقق أُمنيتك بشكل تعجز عن التعبير عنه في وقت كان قلبك لهِث ظمآن من الحرمان والأرق فترتوي من أمطار السعادة والبهجة».

.....

صرخت بمرارة وهي تنتحب بقهر: طلقني بقولك طلقني، أنا بكرهك بكرهك وبكره العيشة معاك، إنتَ مش بني آدم طبيعي.

نظر إليها بغِل والشر يتطاير من عينيه ثم صفعها على وجهها صفعة مدوية جعلت دموعها تسقط بغزارة كأنها لهب من جمر مشتعل فأحرق جلدها ثم سقطت مغشيًا عليها مفارقة الحياة لدقائق، لعل في هذه الدقائق تستريح من قهره لها.

****

البـدايـــة

في مساء إحدى ليالِ يناير الممطرة جلست سيدة أربعينية على أريكة بالقرب من النافذة المغلقة الشفافة تشاهد الأمطار وبيدها إبره وصوف وبدأت تحيك لتصنع شالًا من الصوف لصغيرتها؛ ليقيها من برد الشتاء.

فنادت على ابنتها الكبرى ذات الاثنى عشر عامًا وقالت: يا رباب، يا بت يا رباب خدي أمّا اقولك..

قامت رباب متعجلة وهي تقفز في المنزل بسرعة رهيبة وقالت بسعادة: نعم يا مامتي.

فقالت سميحة بود: نعم الله عليكِ يا حبيبة امك، بعمل شال صوف لأختك سلسبيل عشان عيد ميلادها بكرة، وهنجيب تورتة وعصير وهنعمل حفلة على الضيق كدا عشان نفرحها ونجيب الست أم مهاب وابنها مهاب و خالتك فريال و ابنها سيف يحضروا برضك.

فقالت رباب مندفعة: يا ماما الميس ضحى قالت إن الإحتفال بأعياد الميلاد حرام ، هو معقول كل ما أكبر سنة تقربني من موتي أروح احتفل!!

ظهر الضيق على معالم وجه سميحة وقالت بعصبية: أعوذ بالله، الملافظ سعد، شوفي أنا بقول عيد ميلاد أختك وأنتِ تجيبي سيرة الموت، بتفّولي على أختك يا بت!!

قالت رباب بحرج: لا لا والله ما أقصد كدا يا ماما. ربنا يبارك في عمرها. أنا أقصد إننا مينفعش نحتفل في يوم ميلادها نفسه، بس ممكن نفرحها ونجبلها هدايا في أي يوم وأي وقت بس من غير احتفال بعيد ميلادها، الميس ضحى قالت كدا.

مصمصت سميحة شفتيها بعدم رضا وقالت: الميس قالت والميس عادت هو دا اللي بناخده منك.

قالت رباب لتحاول رفع الضيق عن وجه والدتها قائلة: فُكي بقا يا ماما، إحنا ممكن نجبلها هدايا بعد بكرة أو أي يوم عادي ونفرحها من غير شمع وتورتة والكلام دا، وممكن كمان تعمليلنا بسبوسة حلوة من عمايل ايدكِ بتبقى زي السكر، ونعمل فشار ونضحك ونهزر وهتبقى ليلة محصلتش. وأهو كمان عشان نباركلها على حفظها جزء عم.

أعجبت سميحة بحديث ابنتها وقالت: ماشي يا نبيهه يا أم لسانين، اقنعتيني. نفسي أعرف بتتكلمي كدا إزاي وأنتِ لسه مطلعتيش من البيضة! هاا؟!

ضحكت وقالت: البيضة فقست من زمان يا ماما، جيلنا غير جيلكم وبقينا بنعرف كل حاجة من سن صغير.

ضحكت سميحة وقالت: صدق أبوكِ لما قال إنك لمضة.

قوليلي بقا الورد بتاع الشال يليق عليه أنهي لون!!

نظرت رباب لكرات الخيوط الملونة واختارت لون مناسب وقدمته لوالدتها.

فقالت بإعجاب: حلو أوي اللون دا يا ربابة. تعالي ساعديني فيها.
أسرعت نحوها وشرعت في مساعدتها بكل حب.

.....

في مساء اليوم التالي ذهبت سميحة لزيارة فاطمة أم مهاب جارتها وبعد السلامات والقُبل والترحيب قالت: بصي بقا يا فاطنة أنتِ مبقتيش غريبة عننا، ووجودك هيفرحني، طبعًا عوزاكِ تيجي عندنا أنتِ ومهاب عشان عاملين قعدة صغيرة كدا للحبايب وأنتِ منهم طبعًا عشان عيد ميلاد سلسبيل بنتي. المفروض كان إنهاردة بس البت رباب اللي تتشك قالت مينفعش نحتفل في نفس اليوم قال إيه حرام.
ابتسمت فاطمة وقالت: عسل رباب والله كلامها صح وعندها حق.
عوجت سميحة فمها وقالت بهمس: حتى أنتِ هتقولي زيها.
ثم أكملت فاطمة قائلة: تعرفي الواد مهاب ابني عيد ميلاده انهارده برضوا..
علقت سميحة قائلة بدهشة:
سبحان الله ابنك مولود في نفس اليوم اللي بنتي اتولدت فيه!؟
فقالت فاطمة بتأكيد: اه نفس اليوم بس هو أكبر منها سنتين. هو في سنة تالتة ابتدائي.
صمتت ثم أردفت قائلة: بس أنا طبعًا مش بحتفل بأعياد ميلاد ولا الكلام دا، ابني ضنايا وجوده في حياتي عيد طول الأيام مش مجرد يوم في السنة.

قالت سميحة : يا حبيبتي ربنا يبارك فيه وميحرمكيش منه وتفرحي بيه ومتشوفيش فيه حاجة وحشة أبدًا.

فقالت فاطمة بإبتسامة: يارب يا حبيبتي. ويحفظ بناتك ويباركلك فيهم وتفرحي بعدلهم يارب.

فقالت سميحة: يارب يا حبيبتي.

فقالت فاطمة: بس مفيش مشكلة نتجمع آخر الأسبوع عندك أو عندي ونهادي العيال عشان يفرحوا.

فقالت سميحة بفرحة: اه والله، دول أطفال وأقل حاجة بتفرحهم.

هستناكِ اوعى تتأخري.

قالت فاطمة بود: أول المعازيم الحاضرين متقلقيش.

.....

بعد عودة سميحة من عند فاطمة قامت بالإتصال على أختها فريال قائلة: عامله إيه يا حبيبتي والواد سيف عامل إيه طمنيني عنكم!؟

فأجابتها فريال قائلة بود: زي الفل يا سميحة يختي وسيف بيسلم عليكِ. عامله إيه ورباب وسلسبيل عاملين إيه!

فقالت سميحة بثرثرة: كويسين الحمد لله، بقولك إيه بقا أنا عامله احتفال على الضيق في البيت آخر الاسبوع ولازم تحضري وتجيبي سيف معاكِ عشان نحتفل بميلاد سلسبيل وإنها برضوا خلصت جزء عم.

تهلل أسارير فريال وقالت: يا الف نهار أبيض، الف مبروك يا حبيبتي عقبال ما تختم القرآن وربنا يبارك في عمرها، بإذن الله نيجي ولا هنتأخر.

سعدت سميحة بحديثها وقالت: يارب يا حبيبتي ويبارك في ابنك وميحرمنيش منكم ابدًا.

يلا مع السلامة وسلميلي على الواد سيف.

فقالت فريال: تسلمي يختي، يوصل مع الف سلامة.

.....

في اليوم التالي وعند ذهاب مهاب لمدرسته نادت عليه سميحة قائلة بحرج: معلش يا مهاب يا بني خُد سلسبيل في إيدك لمدرستها.

البت رباب اللي تتلب سابتها ومشيت من بدري قال إيه عندها إذاعة ومش عاوزه تتأخر.

ابتسم مهاب ذاك الصغير البشوش ذا وجه سمح وعيون واسعة قائلًا: حاضر يا خالتي هوصلها في طريقي.

ابتسمت بسعادة وانهالت عليه بالدعوات الطيبة.

فجذب سلسبيل من يدها برفق وسارا معًا إتجاه المدرسة.

وفي طريقهم قال مهاب متسائلًا: أنتِ عرفاني يا سلسُوبة؟؟

نظرت إليه ببراءة وهزت رأسها بإيجاب قائلة: شوفتك مع خالتو أم مُئاب.

فضحك حتى ظهرت نواجذه وقال متسائلًا: طب أنا إسمي إيه!!

حكّت رأسها بجهل ثم قالت بأسف: مش أعرف.

ضحك ضحكات رنانة ثم قال مشيرًا لنفسه قائلًا: أنا مهاب ابن أم مهاب.

قوليلي بقا أنا اسمي إيه؟!

ابتسمت له ببراءة ثم حاولت أن تنطق اسمه بشكل صحيح قائلة: مُئاب!؟

هز رأسه برفض ثم قال بلطف قولي ورايا: مو هاب.

حاولت أن تنطق مثله فأجابت بتأتأه وحروف متقطعة: مو... ه اب.

صفق لها بيديه قائلًا: براڤو يا سلسوبة.

فابتسمت له ببراءة.

ثم ابتاع لها بسكوت بالشيكولاتة ووضعها لها في حقيبتها قائلًا لها: ابقى كُليها في الفسحة.

كادت أن ترفض فردعها قائلًا: لما أجبلك حاجة خديها متقوليش لأ.

أنا اخوكِ الكبير.

نظرت له بإمتنان وقامت بالتلويح له باسمة، فابتسم لها وغادر بعد أن قال لها: مع السلامة.

.....

في آخر الأسبوع اجتمع الأحبة في منزل سميحة، فريال وابنها سيف، مهاب ووالدته، رباب وسلسبيل وسميحة.

الغرفة كبيرة وفي منتصف الغرفة منضدة كبيرة عليها صواني البسبوسة وأطباق الفشار وقطع الجاتوه وعصير مانجو.

تقدمت فريال من سلسبيل وقبّلتها وقالت بحب: خدي يا حبيبتي هديتك.

ففتحت الهدية المزخرفة فإذا بها فستان في غاية الروعة فسعدت به الطفلة وكادت أن تطير من شدة سعادتها وهي تتخيل نفسها قامت بإرتدائه وتمخطرت به.

بينما والدتها احتضنتها وقدمت لها شالًا من أجود أنواع الصوف في غاية الجمال فوضعته على كتفها وابتسمت بدلال وقالت بتلقائية: الله جميل.

بينما فاطمة قدمت لها حذاء بفيونكة روعة فقامت بقياسه وأعجبها للغاية أيضًا.

ورباب قدمت إليها شنطة كتف صغيرة فسعدت بها كثيرًا.

ومهاب أعطاها شنطة هدايا ففتحتها فإذا بها عروسة لعبة بشعر أصفر وفستان بنفسجي فأخذتها منه وهي تبتسم له بدلال ثم حضنتها بحب وقالت: جميلة أوي.

بينما سيف أعطاها كاميرا لعبة وقال بعفوية: عجبتك!

فأومات برأسها قائلة: حلوة أوي عجبتني.

قامت سميحة بإخراج هدية مغلفة وقدمتها لإبنتها قائلة: دي بقا هدية باباكِ بعتهالك مخصوص.

ففتحتها فإذا هي قطار طويل ومعه عجلاته التي يسير عليها.

فانبهرت به وعزمت أن تلعب به من اليوم وصاعدًا.

وفاطمة قدمت لمهاب هدية الا وهي طقم خروج أنيق.

بينما أهدت سميحة لمهاب هدية ألا وهي كوفية من الصوف وحذاء وقالت له: كل سنة وأنت طيب يا حبيبي.

فأخذهم منها وشكرها بلطف.

التفوا جميعًا حول المنضدة وقامت سميحة بتوزيع الحلويات والعصائر، سعداء والبسمة مرسومة على ملامحهم.

وبعد الإنتهاء قامت سلسبيل باللعب بالقطار فجلس بجانبها سيف. بينما مهاب جلس بجانب والدته.

فقال سيف بمكر حيث أنه بعمر مهاب : القطر دا عجبني هاخده وأنا مروح.

فقالت سلسبيل بغيظ: لأ مش هتاخده.

فقال بعند: هاخده يعني هاخده.

فوقفت سلسبيل وصرخت به قائلة: مش هتاخده دا بتاعي بابا جبهولي.

فوقف هو الآخر وبشر تملّك منه حمل القطر وألقاه أرضًا بقوة فانكسر.

فصرخت سلسبيل بقهر فأنتبه الجميع لها فأقبل إليها مهاب يجفف دمعها ويربت على ظهرها بحنو.

بينما فريال عنفت ابنها بقسوة وتأسفت لأختها عما بدر من ابنها، وقبّلت رأس سلسبيل متأسفة تخبرها ألّا تحزن.

صممت فريال على المغادرة فقالت سميحة: يا فريال دول عيال، بيشاكلوا مع بعض ويرجعوا يلعبوا ولا أكن حاجة حصلت، خليكِ معانا.

رفضت ثم غادرت هي وابنها وهي تتوعد له بالعقاب الموهوم عندما يصلا للمنزل.

سميحة حضنت طفلتها وربتت على ظهرها بحنو قائلة: متزعليش يا حبيبتي كفاية عياط بقا هجبلك غيره.

قالت سلسبيل بوجع: سيف وحش كسر القطر بتاعي أنا مش بحبه.

تأثرت فاطمة بهذا المشهد وأحزنها ما أحزن هذه الطفلة المسكينة.

جففت سميحة دموع طفلتها وقالت: طب ينفع كدا يوم ميلادك تعيطي يا قلب أمك.

يلا ناكل جاتوه واقعدي العبي مع مهاب ومتزعليش.

أومأت برأسها ومسحت دموعها بظهر يدها ثم أسرعت نحو مهاب وقالت: يلا نلعب.

فجذب يدها برفق وقال بإبتسامة: يلا.

جلسا يلعبا معًا وانشغلت سميحة وفاطمة بالحديث، بينما انهالت رباب على الجاتوة والفشار وأكلت منهم بشراهة.

فقالت لها والدتها بغيظ: ارحمي معدتك يا أم كرش.

فقالت رباب بلا مبالاة: يا ماما بقا سيبيني أكل.

فضحكت فاطمة وقالت: ما تسيبيها تاكل هههههه.

فضحكت سميحة ثم أكملت حديثها مع فاطمة.

.....

عادت فريال لمنزلها وقالت بدلال لإبنها الدلوع : حبيبي اللي حصل انهاردة دا ياريت ميتكررش تاني.

وهجبلك قطر أحسن منه.

أومأ برأسه بسعادة وقال: حاضر ياماما.

سيف الابن الوحيد لفريال، دلوع ومدلل ، كل ما يريده تحت طوعه وما تقع عليه عيناه يناله، زرعت به والدته الأنانية بدون أن تدري ولا يفكر سوى في نفسه وفقط.

.....

عند عودة فاطمة ومهاب

أسرع مهاب نحو غرفته وعزم أن يدّخر من مصروفه حتى يبتاع قطارًا لسلسبيل يعوضها عن الذي كسره سيف.

ثم خرج من غرفته وقال: علفكرة يا ماما أنا محبتش الواد سيف دا، عيل بمخ حمار.

نهرته والدته قائلة: عيب يا حبيبي أنت عمرك ما كنت قليل الذوق مع حد بالشكل دا.

فقال بغيظ: يا ماما دا كسر لعبة سلسبيل.

فقالت والدته منهية الحديث:دا ابن خالتها مش حد غريب.

خليك أنت في حالك وملكش دعوة بيهم.

فقال بإستسلام : حاضر.

في اليوم التالي تجهزت رباب للذهاب لمدرستها فقالت لها والدتها: استني خدي اختك في إيدك.

فقالت بعجلة من أمرها: يا ماما عندي إذاعة وهتأخر.

لازم امشي بسرعة وهي تبقى تيجي براحتها ورايا.

يلا مع السلامة.

فقالت سميحة بسخرية: يا بنتي هم عينوكِ في المدرسة صحفية ولا مذيعة كل شوي عندك إذاعة كدا! هو مفيش غيرك بيطلع إذاعة ولا إيه؟؟

فقالت رباب بلامبالاة: مش وقته يا ماما هتأخر.

فقالت سميحة بتصميم: بقولك استني خدي أختك في إيدك يإمّا هروح للميس بتاعتك إياها وهشتكيلها منك.

تركتها رباب وذهبت لمدرستها ولم تهتم بحديثها ضاربة به عرض الحائط، لا مبالية بتهديد والدتها ظنًا منها أنها تهدد فقط ولن تنفذ.

فقامت سميحة وارتدت عباءة الخروج وخمارها وجذبت سلسبيل برفق وقالت: يلا أوديكِ المدرسة يا بنتي، وبالمرة اشكي للميس من أختك.

.....

عندما وصلت كانت الإذاعة قد انتهت وهرع التلاميذ لفصولهم.

فوصلت سلسبيل لفصلها ثم سألت على فصل ابنتها وصعدت السلالم ثم دقت الباب فقابلتها الميس فقالت بتساؤل : حضرتك ميس ضحى!؟

فأومأت برأسها بإيجاب فقالت مشيرة لنفسها:

أنا والدة رباب مصطفى وعاوزه أتكلم مع حضرتك..

ما إن سمعت رباب صوت والدتها حتى جحظت عيناها ولطمت وجهها بخوف قائلة بهلع: يلهوي ماما جت...

****

الحلقة الثانية

ما إن سمعت رباب صوت والدتها حتى جحظت عيناها ولطمت وجهها بخوف قائلة بهلع: يلهوي ماما جت.

ذهبت سميحة مع ميس ضحى خارج الفصل وقالت بتساؤل: البت رباب مستواها عامل إيه!؟ بتسمع الكلام ولا شقية؟

ابتسامة شقّت ثغر ضحى وقالت: ماشاء الله عليها ممتازة وبتسمع الكلام وبتستجيب بسرعة ربنا يحفظها يارب.

ابتسمت سميحة وقالت: يارب تسلمي يا ميس ضحى.

صمتت ثم أردفت قائلة: شوفي بقا يا ميس البت دي مغلباني، هي أه بتذاكر ولما بطلب منها حاجة بتنفذها ولبلب كداه، والأسبوع اللي فات كان عيد ميلاد أختها رفضت إننا نحتفل بيه وقالت ميس ضحى قالت كدا حرام وبتتأثر بكلامك أوي.

انصتت لها ميس ضحى وقالت: ماشاء الله لحد كدا كويس ربنا يبارك فيها. إيه المشكلة بقا!؟

فقالت سميحة شارحةً: بس عيبها الوحيد بتمشي على المدرسة بدري عشان عندها إذاعة ومش بترضى تاخد أختها في إيدها وأختها صغيرة بخاف عليها تروح لوحدها. لو بس تعرّفني قبلها إنها عندها إذاعة هجهز

أختها من بدري وتروح معاها. حاولي معاها يا ميس هي بتسمع كلامك حكم أنا صوتي اتنبح معاها.

أومأت ميس ضحى بإيجاب وقالت بود: من عنيا حاضر،

عوزاني اقطملك رقبتها أو أملصلك ودانها على عيني برضوا.

تجعد وجه سميحة بحزن وقالت: لأ متضربيهاش مش هيهون عليا اشوفها بتتوجع، اقنعيها بس الله يكرم أصلك.

تأثرت ضحى بحديثها وكادت الدموع أن تهطل من مُقلتيها فأخفتها وقالت: حاضر اللي حضرتك عوزاه هنفذه.

فربتت سميحة على كتفها بحنو وقالت بود: ربنا يبارك فيكِ يارب ويخليكِ لأهلك وحبايبك.

ابتسمت ضحى ابتسامة صغيرة لم تصل لأذنيها وقالت: يارب تسلمي.

استأذنت سميحة بلطف ثم غادرت. ولا تعلم أن حديثها هذا سيفتح على ضحى آلام وأوجاع وذكريات مضت ولا تستطيع نسيانها.

نفضّت تلك المشاعر التي اجتاحتها ثم دلفت للفصل لتستكمل الحصة مع طلابها الأعزاء.

وبمجرد دلوفها ارتعشت أوصال رباب وارتجفت بخوف ظنًا بأنها ستعاقبها عقابًا عسيرًا،

ولكن ضحى استأنفت الشرح وظلت تشرح بمهارة ويُسر وطوال الشرح رباب لم تستطع التركيز وبالها مشغول بما دار بين والدتها وميس ضحى وخوفًا مما سيحدث بعد الحصة.

وكلما وقعت أنظار الميس على رباب ابتعلت ريقها بصعوبة، فعقلها الباطن أوحى إليها بأنها تهددها بنظراتها تلك وستعاقبها فيما بعد. فتمّلك منها الخوف ودبّ فيها الرعب منتظرة مصيرها المحتوم.

.....

عادت سميحة للمنزل فوجدت حالة من الفوضى أصابته فشمرت ذراعيها وقالت:استعنا على الشقى بالله،بسم الله.

قامت بأعمال المنزل من طهي وتنظيف وكنس الأرضية وغسيل الملابس وغسل الصحون وغيرها من الأعمال.

ثم القت نظرة على المخلل الذي صنعته بيدها منذ أيام وتذوقت منه وقالت بتلذذ: حلو أوي، تسلم إيديا، أوديكِ فين يا شطارة،

هروح أدي برطمان لأم مُهاب.

حملت البرطمان وأغلقت الباب وانطلقت لجارتها التي أحبتها.

وعند وصولها رحبت بها وجلست معها، أهدتها برطمان المخلل قائلة بود: عمايل إيديا دوقي وقولي رأيك. عملت حسابك في البرطمان دا.

فقالت فاطمة بفرحة: الله يباركلك أكيد هيطلع حلو عشان عمايل إيديكِ، متعرفيش أنا بحب المخلل أد إيه!

تذوقت شريحة الجزر المخللة ثم قالت بتلذذ: الله الله، طعمه حلو أوي.
ابتسمت سميحة ثم قالت: بالف هنا مطرح ما يسري يمري.
ابتسمت فاطمة وقالت:الله يعزك، هقوم اعملنا كوبيتين شاي وأدوقك الكيكة بتاعتي أهو ننقنق عقبال ما العيال ترجع من المدرسة.
وافقتها سميحة وقضت معها بعض الوقت يتبادلا فيه الأحاديث المختلفة.

.....

بعد انتهاء الحصة قالت ضحى لرباب: رباب تعاليلي عوزاكِ.
دبّ الخوف فيها وخافت من مصيرها وكأن الآن أتى دورها للحكم عليها بالإعدام.
ذهبت خلفها ببطىء وكأنها تسير على صفيح ساخن سيحرق قدميها فلمحتها ضحى وضحكت بمكر وقالت: خايفة!!؟
نظرت إليها رباب وأومأت برأسها بإيجاب.
فقالت ضحى بهدوء: متخافيش يا رباب قربي مني.
اقتربت منها ثم قالت: مامتك بتشكر فيكِ أوي وأد إيه أنتِ مطيعة وبتسمعي الكلام.
شعرت رباب بالدهشة، أمعقول أن المعلمة تسخر منها!!
فلاحظت ضحى ذلك فقالت: حقيقي مش بتريق مامتك شكرت فيكِ أوي.
بس بصراحة هي متضايقة من حاجة واحدة، إنك بتسيبي أختك الصغيرة تروح المدرسة لوحدها ودي حاجة مش كويسة.

فقالت رباب مدافعة عن نفسها: بس يا ميس أنا بجيبها في الأيام العادية، بسيبها بس في الأيام اللي بيبقى عندي فيها إذاعة.

فقالت ضحى بهدوء: دا مش مبرر يا رباب، اختك صغيرة ومينفعش تيجي لوحدها جايز تتخطف، حد يضربها، تقع في الترعة... أي شيء محتمل بعد الشر طبعًا. فهي هتبقى في أمان لما تروح وتيجي معاكِ.

يوم ما يبقى عندك إذاعة تعرفي والدتك في اليوم اللي قبلها عشان تعمل حسابها تجهز أختك بدري وتروح معاكِ. أرجو يا رباب إنك تسمعي الكلام ومتنبحيش صوت مامتك معاكِ.

أنصتت رباب وظهر على وجهها الندم من فعلتها والإقتناع بكلام معلمتها.

فأردفت ضحى قائلة:

وعلفكرة أنا فخورة بيكِ أوي، أنتِ شطورة ومستواكِ الدراسي والأخلاقي ممتاز وأنا واثقة إنك مش هتزعلي مامتك منك تاني.

صح يا رباب!؟

فأومأت موافقة وقالت: حاضر يا ميس، أوعدك مش هعمل كدا تاني.

وهسمع الكلام.

فنظرت إليها بود وقالت: الله يحفظك يا حبيبتي،

ارجعي فصلك عشان الحصة بدأت.

فانطلقت لفصلها سريعًا.

جلست ضحى في الإستراحة واضعة كفيها أسفل وجهها وشردت بعقلها لماضي حمل بجوفه آلامًا لا حصر لها.

مجيء والدة رباب وخوفها على ابنتها من العقاب وحبها لها كان سببًا في انفتاح جرحها القديم.

كل هذا ذكرها بمعاملة والدتها لها في الماضي.

لاح أمامها مشهد كأنه مشهد سينيمائي عندما كانت صغيرة بعمر السابعة واستيقظت ليلًا لترتشف كوب مياة وبدون قصد منها انزلق من يديها الصغيرة الكوب الزجاجي فسقط أرضًا وتهشّم فوضعت كفيها على فمها بحركة تلقائية وجحظت عيناها بدهشة في ذاك الوقت أقبلت والدتها على صوت الإرتطام وعنفتها

بشدة ولم تكتفِ بهذا بل صفعتها على وجهها بقوة وحملتها بقسوة من تلابيبها وألقتها على سريرها بعنف قائلة بعصبية: ما تنامي بقا وتريحيني نامت عليكِ حيطة. أنا بكرهك وندمانة على عمري اللي راح بسببك. وبكرة ابوكِ بكرهكم كلكم بكرهكم.

تركتها وهي ترتجف وتهطل شلالات من الدموع الحارقة، ما ذنبها تلك الصغيرة أن تُعامل بتلك القسوة!؟

كيف تُعاقب من والدتها بهذا الشكل!؟ إن لم تحن إليها فمن سيدفئها حنانًا ويروي ظمأ قلبها اللهث!!؟

أ بسبب كرهها لزوجها بسبب خلافات تقسو على صغيرتها التي ليس لها حول ولا قوة!!؟

لم تكن هذه المرة الوحيدة التي تُعاقب فيها بل انهالت عليها والدتها بالضرب مِرارًا وتكرارًا.

حتى طلقها زوجها وتزوجت من آخر، وهو الآخر فعل مثلها.

ولم يراعي أحد تلك الطفلة وتخلا عنها فما كان من جدتها لأمها إلا أن أخذتها في حضانتها وقامت بتربيتها؛ تكفيرًا لذنب ابنتها

ولشعورها بالجُرم في عدم تربية ابنتها بالشكل الكافي لتقسو على طفلتها بهذا الشكل.

فاقت من شرودها وجففت دموعها وهدأت من روعها وتشنجها ثم ذهبت لتعطي حصتها وقد ضغطت على عقلها ليكُف عن استرسال المزيد من الذكريات المؤلمة.

.....

بعد انتهاء اليوم الدراسي ذهبت لفصل أختها سلسبيل وجذبتها برفق وعادتا للمنزل.

وعند عودتهما اسرعت رباب ناحية والدتها وقالت بأسف: ماما أنا آسفة وهستنى سلسبيل من هنا ورايح متزعليش مني.

ثم قبّلت يدها بحُب.

فتأثرت سميحة بهذا المشهد وجذبت ابنتها لأحضانها قائلة بحُب: مش زعلانة منك يا قلب أمك، هو فيه أم تزعل من عيالها يا عبيطة. يلا روحي غيري هدومك وتعالي كُلي مع أختك.

فقالت بإبتسامة: حاضر يا ماما، فُريرة.

.....

وفي مساء ذات يوم جاءت فاطمة ومعها مهاب فلذة كبدها وجلست مع سميحة يتبادلا الأحاديث المختلفة.

بينما كانت رباب في غرفتها تذاكر، وسلسبيل كانت جالسة في البهو تؤدي واجباتها فجلس مهاب بجانبها يساعدها من حين لآخر.

مرت دقائق ودق جرس الباب فأسرعت سميحة وفتحته فطلّ من ورائه فريال وسيف.

رحبت بها وقبّلتها ثم دخلت ورحبت بها فاطمة وأصبحت جلسة السمر شاملة ثلاثتهم فريال وفاطمة وسميحة.

بينما سيف اتجه وجلس بجانب سلسبيل متجاهلًا مهاب فلا أحد منهما يطيق الآخر وقال: يلا نلعب يا بيلا!

فقالت بلامبالاة: مش هلعب.

فقال بتصميم: يلا نلعب يا بيلا!

فنظرت إليه وتجعد وجهها بعدم رضا وقالت بكلل: مش هلعب مش هلعب.

فقام مهاب وقال بضيق من ذاك العنيد: انت ياض ما قالتلك مش هلعب هو بالعافية ولا أنت بتفهم بالشقلوب!!؟

فنظر إليه سيف بحقد ثم تركهم وجلس بجانب والدته وطوال الجلسة يختلس النظرات إليهم بحقد دفين.

.....

أشرقت شمس صباح يوم جديد حاملًا معه آمالًا جديدة.

وهنا في منزل سميحة صاح صوت رباب قائلة: يا ماما فين الشراب الكحلي!؟

فقالت والدتها التي كانت تجهز السندوتشات: في البلكونة لسه ملمتش الغسيل.

أسرعت وجلبته وارتدته وتناولت طعامها ووضعت السندوتشات بحقيبتها.

وها قد فرغت سلسبيل هي الأخرى فجذبتها برفق ولوّحت لوالدتها بكل حُب.

وأمام المنزل كان يخرج مهاب في ذات اللحظة فأسرعت سلسبيل نحوه وجذبته من يده برفق وحُب كأنها تحتمي به.

فقالت رباب متعجلة: يلا يا سلسبيل إحنا اتأخرنا.

فشددت سلسبيل في عناق ذراع مُهاب فضحك وقال: هتيجي معايا يا رباب، روحي عشان متتأخريش.

فأشارت رباب لوالدتها وقالت: بصي يا ماما مش راضية أهي تيجي معايا.

فقالت سميحة: خلاص سيبيها ومهاب هيوصلها في طريقه.

ثم قالت موجهه حديثها لمهاب: خلي بالك من سلسبيل يا مهاب يابني.

فقال مهاب بود: حاضر يا خالتي.

انطلقت رباب لمدرستها بصُحبة نُهى صديقتها.

وانطلق مهاب للمدرسة بصحبة سلسبيل.

.....

ذات يوم خرج مُهاب للشارع فرأى على بُعد سنتيميترات قليلة وتحديدًا أمام منزل سميحة، فريال وسميحة وبجانبها رباب و سيف وسلسبيل.

وكانت سلسبيل ترتدي فستانًا برّاقًا ووالدتها وخالتها وأختها كل منهن ترتدي ملابس(تفاريحي) استنتج أنهم ذاهبون لفرح ربما.

وعندما وقع نظر سيف على مُهاب فلاحظ عيونه مُسلّطة عليه تكاد تخترقه فوضع يده على كتف سلسبيل وأخرج لسانه لمُهاب ليغيظه.

فاستشاط مهاب وقال بعصبية: والله ما هسكتلك يا زفت.

وأسرع بإتجاههم.

****

الحلقة الثالثة

فاستشاط مُهاب وقال بعصبية: والله ما هسكتلك يا زفت.

وأسرع بإتجاههم.

في تلك اللحظة نظرت سلسبيل ل سيف بحاجب معقود وفم ملتوي ثم ابعدت يده عن كتفها وقالت بعصبية: حوش ايدك.

أقبل مُهاب وثبّت نظره على سيف وقال لسميحة بعجلةٍ: ازيك يا خالتي سميحة.

وقبل أن تجيب نظر لسلسبيل وقال بتساؤل: رايحة فين يا سلسبيل، دا أنا كنت جاي العب معاكِ.

اطمأنت سلسبيل فها قد جاء منقذها فأسرعت ووقفت بالقرب منه وقالت: رايحة فرح.

ثم حضنت ذراعه وقالت ببراءة: يلا نروح.

وبتلقائية وكما عودته والدته أن يأخذ الإذن أولًا ويكون لطيفًا فقال لسميحة برجاء: ينفع أجي معاكم!؟

فقالت سميحة بود وهي تربت على رأسه: طبعًا ينفع يا حبيبي.

فقال بعجلةٍ: طب هستأذن من ماما وهاجي بسرعة.

انطلق وبالطبع ذهبت معه سلسبيل فأخبر والدته التي نظرت لملابسه المُهندمة دومًا فوافقت في الحال.

ذهب مُهاب معهم وطوال الطريق وسلسبيل تحتضن ذراعه بحُب وكلما يقترب منها سيف يقوم مُهاب بصده وردعه عن حبيبته فبالرغم من أنهم أطفال ألا أن غِيرة مُهاب على سلسبيل لاحت وستنمو كنمو اليرقات.

وعند وصولهم لقاعة الأفراح جلسوا جميعًا على طاولة تضم عدة كراسي.

قرب مهُاب الكرسي الخاص به من كرسي سلسبيل ولم تغفل عن مُقلتيه لحظة واحدة.

تصفق حينًا وتبتسم بسعادة وعندما طلّت العروس ودلفت للقاعة وجلست بمكانها بجانب زوجها قالت سلسبيل بسعادة وهي تصفق بكلتا يديها: وصلوا..

ثم اشارت لمُهاب وقالت: يلا نسلم على العروسة.

وافق على طلبها بإبتسامة زينت ثغره وإماءه خفيفة من رأسه فطوّقت ذراعه كأنها عروس وهو عريسها واتجهت نحو الاستيدج وصعدت السلالم بمهارة ثم مدت كفها وسلمت على العروس ثم العريس تبارك لهما ببراءة ولطف وكذلك فعل مهاب.

عادا وجلسا بأماكنهما مرة أخرى وفجأة قامت سلسبيل لترقص فنظر إليها مهاب نظرة كلها تحذير فلم تفهمها أو ربما فهمتها وتجاهلتها ولاحظ

نظرات سيف التي تخترقها بمكر فجذبها من يدها وأجلسها عنوةً وقال:
مش هترقصي قدام حد كدا عيب اسمعي الكلام.
لوهلة كفّت عن محاولتها للرقص وجلست بجانبه تصفق فقط.
إلا ان غادروا جميعًا لمنازلهم.

.....

في صباح اليوم التالي انطلقت رباب لمدرستها بصُحبة نهى جارتها، بينما سلسبيل ذهبت لمدرستها بصُحبة مُهاب كالعادة.

.....

في الإستراحة وقفت ضحى في شرفة المدرسة شاردة، تشعر بتصدع في عقلها واسترساله لذكريات سببت لها الأوجاع والآلام والأسى ولا تستطيع تجاوزها حتى الآن، فأصبحت مُستنزفة نفسيًا وجسديًا والإرهاق احتل ملامحها والأرق تجعّد بوجهها وكأنها عجوز أهلكها الزمن ببراثنه المُميتة.
كيف تتوجع وما بها آه واحدة لا تكفيه!!؟ وقلبها الموجوع ليس له ما يؤويه!!
تذكرت عندما مزّقت لها والدتها الكراسة الخاصة بالرسم موهبتها التي كانت تعشقها حد النخاع.
وبكاءها الذي هطل بغزارة في تلك الليلة كأنها شلالات ذات سيول قوية.
فقالت بأسى: عايشة زي اليتامى مع إن بابا وماما عايشين.

منذ إنفصالهما أصبحت هي الضحية، ضحية زواج لم ينجح، وأب وأم كل منهما يسعى لنفسه فقط.

نظر لها الجميع نظرة شفقة وخيبة وقذفوها بكلمات وحشية أمثال: " عمرك ما هتنجحي بعد انفصال والديكِ، هتفضلي فاشلة يا عيوطة، عمرك ما هتحققي حاجة.... الخ.

ولكنها اليوم وبفضل الله ثم بفضل جدتها أصبحت معلمة يحبها الأطفال ذات كلمة مسموعة، وطلّة مقبولة، وبين الناس محبوبة.

ظهرت أستاذة تهاني من العدم وربتت على كتفها وقالت: ضحى يا ضحى روحتي فين!؟

فاقت من شرودها وقالت بتوهه بعد أن تنهدت بعمق قائلة: أنا معاكِ.

فقالت تهاني بقلق: ولا معايا ولا حاجة، دا أنتِ روحتي مكان بعيد أوي. التنهيدة دي وراها كتيير، مالك يا ضحى بس لسه الموضوع دا مزعلك!!

أومأت ضحى برأسها بإيجاب وقالت بأسف: للأسف. مش قادرة أتجاوز ولا أتخطى.

فقالت تهاني بتساؤل: لسه رافضة الجواز!؟

فقالت ضحى بألم: أه. خايفة من الشخص اللي هتجوزه يتغير معايا بعد الجواز ميبقاش نعم الأب لعيالنا وميبقاش حنين، ويكون عصبي واناني زي بابا، أو أنا ابقى أم فاشلة معندهاش حنان تديه لأطفالها. تجربتي مع بابا وماما خلتني اشوف مفيش علاقات ناجحة في الحياة.

فقالت تهاني بحكمة: بصي يا ضحى يا بنتي طول ما أنتِ خايفة عمرك ما هتنجحي. إدي للأستاذ سراج فرصة واتخطبوا وافهموا بعض متفضليش طول عمرك خايفة من الجواز.

الرجل بيحبك ورافض يتجوز حد غيرك ولما بيشوفك عيونه بتطلع قلوب كدا.

يمكن تحبيه وتتجوزوا والجواز دا هيخليكِ تتجاوزي كل حاجة مش قادرة تنساها.

بيقولوا فاقد الشيء لا يعطيه بس دي جملة غلط لأن فاقد الشيء يعطيه وببذخ كمان.

أنتِ أه اتحرمتي من حنان الأم وعطف الأب بس مقدرة كدا ولما ربنا يرزقك بأطفال هتديهم حب وحنان كتيرر اوي هُم هيعوضوكِ وأنتِ هتعوضيهم.

صمتت تلاحظ انجذاب ضحى لحديثها فأكملت قائلة:

طب بصي لقدام يا ضحى، جدتك مش هتعيشلك طول العمر ربنا يديها طُولة العمر وبكرة لما تكبري ومتلاقيش حد جمبك يراعيكِ ويهتم بيكِ وتلاقي نفسك لوحدك هتزعلي أوي.

مش هيعرف شر الوحدة غير اللي جربها.

أد إيه صعبة لما تبقى تعبانة ومحدش جمبك،

تبقى محتاجة بُق ميه ومش قادرة تقومي تشربي ومحدش جمبك يسقيكِ.

تتعري بليل ومتلاقيش حد يغطيكِ.

في عز البرد ولا 100 بطانية تدفيكِ

مفيش ونس ولا صوت عيالك جمبك..

هي دي الوحدة يا ضحى، عمرك ما هتستحملي نارها.

نظرت لضحى تنتظر ردها فقالت ضحى وقد لاح عليها الإقتناع: هفكر وأرد عليكِ.

فتهلل أسارير تهاني وقالت: خير ورب الكعبة خير أنا مستبشرة خير والله.

لاحظت وخزات الحزن بملامح ضحى فأرادت أن تخرجها مما هي فيه فسحبتها من يدها وقالت بعجلةٍ: تعالي معايا فيه واحد تحت بيبيع عبايات زي القمر يلا نتفرج ولو عجبنا حاجة نشتري.

فابتسمت ضحى وقالت: أيوا صحيح دا أنا محتاجة أشتري عبايات. يلا بينا.

وهبطت معها درجات السلم ليبتاعا من ذاك الرجل.

.....

(الأردن 2001)

جلس على الأرضية رجل في أواخر الأربعين من عمره غزا شعره الشيب وظهر على وجهه الأرق والتعب، فتح الظرف الذي أتى له من أسرته بلهفة واشتياق لطفلتيه ووجد مكتوب بها:

« السلام عليكم أما بعد:

إزيك عامل إيه يا مصطفى وصحتك عاملة إيه! وحشتنا أوي طمنا عليك، ربنا يرجعك لينا بالسلامة.

يا بابا أنا سلسبيل، وحشتني أوي ونفسي أشوفك، عاوزه سلامتك، وابقى هاتلي مريلة جديدة.

بابا أنا رباب وحشتني أوي، عاوزه أشوفك يابابا، أنا بحبك أوي، خلي بالك من نفسك وتيجي بالسلامة.»

طوى الظرف وابتلع مرارة الغُربة وتألم قلبه، فشوقه لزوجته وطفلتيه غلبه، فتبًا للغُربة التي تبعد الأحباب بهذا الشكل.

انطلق لعمله حتى لا يُخصم من أجره.

.....

ذهبت رباب لدرس العربي عند أستاذ تميم والد مُهاب.

حضرت التلميذات وكل منهن جلست بمقعدها في غرفة تقع بسنتر خاص بالدروس.

وفي بداية الشرح قالت إحدى الفتيات لتميم: يا أستاذ تميم أنا عندي مشكلة في النحو ودايمًا احفظه ويطير زي السِبرتو.

ضحك تميم وقال: النحو بقا سِبرتو!!

ثم أضاف مازحًا مشيرًا لتلك الفتاة:

وهي عامله إيه في النحو؟ ومين هوّن عليها الصرف!

وأتاري النحو خلّاها.. في قلب الحِيرة لِساها..

وكل النحو جواها.. بيتبخر كدا بالحرف..»

فضحكت وضحك الجميع.

ثم صفق بيديه وقال: ركزوا معايا الكلام للجميع.

كتب على السبورة:

«الحفظ يخدم الفهم»

أشار إليها للتلاميذ وقال شارحًا:

بصوا بقى النحو بالذات عليه **20** درجة من المادة كاملة، والنحو برضوا محتاج حفظ على فهم على تركيز.

يعني مروحش أحل قطعة نحوية وأنا حافظ بس أو فاهم بس. النحو محتاج الحفظ والفهم معًا.

يعني مثلًا إحنا حافظين إن الفاعل بييجي بعد الفعل علطول وبالتالي هنعربه فاعل دايمًا مع إن كدا غلط لإن الفاعل أوقات بييجي في آخر الجملة أو بعد الفعل بكام كلمة فأنا حافظ أن الفاعل بعد الفعل بس مش هعرب دلوقت فهييجي دور الفهم افهم فين الفاعل لحد ما القطه واعربه.

مثال تاني فيه قواعد ثابتة اعرابها ثابت مفيهاش فهم لازم حفظ زي مثلا التمييز دايمًا منصوب مينفعش أجزمه أو انصبه أو أجره.

وعندنا كلمات زي (أيضًا، شكرًا، عفوًا، حقًا) دي كلمات اعرابها ثابت بتتعرب مفعول مطلق

قِيسوا على كدا كتييير بقا..

وطبعًا الناس اللي متابعة معايا من الأول ميه ميه في النحو،
أما بقى الناس اللي بتيجي حصة وتغيب عشرة فنصيحتي ليهم التزموا شوية بالحضور والمذاكرة، فلوس الدروس بتقطم ضهر أهاليكم حِسوا شوية وراعوا ظروفهم.
وأنا هبدأ أكثف جهودي معاكم وأسسكم في النحو وتعشقوه.
هلل التلاميذ بفرحة ثم شرع في الشرح بطريقة مبسطة.

.....

عادت ضحى من المدرسة وانطلقت لغرفة جدتها أطرقت طرقة خفيفة ثم دلفت فوجدتها مستلقية على الفراش وقد غزا جسدها التعب.
فجلست بجانبها وربتت عليها بحنو وقالت: تيتا حبيبتي أنا جيت.
فتحت عينيها ببطىء وجذبت يدها بوهن وقالت بضعف: أنتِ جيتي يا نضري، حمدالله على سلامتك.
قبّلت كفوفها وقالت بحُب: الله يسلمك يا عيوني، يلا بقا هعملك الشوربة اللي بتحبيها وناكل سوا وبعدين تاخدي العلاج ماشي يا دودو، دهب وإنتِ معدنك دهب يا حبيبتي.
ابتسامة شقّت ثغرها فبدا فمها بدون أسنان وقالت: ميحرمنيش منك يا كل اللي ليّا.
ألقت لها قُبلة في الهواء وقالت: ولا يحرمني منك يارب.
ثم ذهبت للمطبخ لتطهي الطعام.

ذهبت سلسبيل للكُتاب مع رباب ثم بعد ذلك عادت معها للمنزل وذاكرت وأدت واجباتها ثم نامت مبكرًا لتستيقظ باكرًا لمدرستها.

.....

وفي هذا التوقيت كانت الساعة قد تخطت العاشرة مساءًا والشوارع مظلمة للغاية وهذا التوقيت في الشتاء يكون جميع الناس نائمون وكانت ضحى حينها تقرأ كتابًا فأصابها النُعاس وفركت عيونها بأناملها ثم أغلقت الكتاب وقامت لتنام بغرفتها فسمعت طرقًا على الباب فذهبت لتفتحه بدون تفكير ظنًا منها بأن الطارق قد يكون جارتها مثلًا وعند فتحها للباب لم تجد أحدًا فخطت خطوات بسيطة للخارج ولم تشعر إلا بضربة قوية على رأسها جعلتها تسقط أرضًا فاقدة الوعي والدماء تنهمر من رأسها..

****

الحلقة الرابعة

ولم تشعر إلا بضربة قوية على رأسها جعلتها تسقط أرضًا فاقدة الوعي والدماء تنهمر منها.

كانا لِصّان مُتشحان بالسوّاد على وجه كلًا منهما غطاء يخفي الوجه.

قال أحدهما بهمس والذي يُدعى شيكا : يخربيتك البت شكلها ماتت.

فرد الآخر والذي يُدعى بيكا قائلًا: مش أنت اللي قولتلي اضربها على رأسها!!

فقال شيكا بغضب: قولت، بس بشويش ضربة خفيفة، مش تسيح دمها يا غبي. هنروح في داهية يا متخلف.

فقال بيكا بلامبالاة: بقولك إيه كدا كدا هنروح في داهية يلا نلحق نسرق حاجة بسرعة قبل ما تفوق.

صَكّ شيكا على أسنانه بغضب وقال بهمس لنفسه: دي لو فاقت.

ثم قال لبيكا: يلا ندخل بشويش خالص.

دلفا معًا لمنزلها...

شيكا دلف لغرفة ضحى بينما بيكا الغبي دلف لغرفة الجدة.

شيكا بعثر محتويات الغرفة ولم يجد سوى بعض الأموال في شنطة ضحى وأسورة ذهب فأخذهم.

بينما بيكا عندما دلف لحجرة الجدة في الظلام تقلبت في فراشها ثم نادت على ضحى لتحضر لها كوبًا من الماء ترتشفه.

وحتى لا ينكشف أمر بيكا ذهب للمطبخ وأحضر لها كوبًا من الماء بدون تفكير في العواقب وجاء ليعطيه لها بدون أن ينطق فقد سمعت هي وقع خطواته ظنًا منها أنها ضحى فقالت: مالك يا ضحى أنتِ لسه نايمة ولا إيه؟؟ افتحي النور يا بنتي، هشرب في الضلمة إزاي؟؟

وبكل غباء أضاء بيكا المصباح وبمجرد أن رأته الجدة دهب صرخت بهلع وظلت تنادي على ضحى، خوفًا عليها من ذاك اللص.

أتى شيكا مُسرعًا وهو يصرخ على بيكا قائلًا: غبي ومتخلف أقسم بالله. هنتقفش بسببك يا حمار.

يلا نهرب.. وفرّا هاربين للخارج.

في تلك الأثناء كان ثلاثة شباب عائدين من العمل وعندما اقتربوا من منزل ضحى ورأوا ضحى ملقية أرضًا وفي نفس الوقت خرج اللصان.

صاح شاب من الشباب امسكوهم يا شباب دول حرامية ، ثم اتصل على الإسعاف والبوليس.

لم يستطعا اللصان الفرار فقد وقعا في قبضة الشابان، بينما الإسعاف أتت في الحال ووضعوا ضحى بها ثم انطلقت للمستشفى وصدح صوتها المزعج في الأرجاء.

وبسرعة جاءت الشرطة وقبضت على اللصان.

جلست الجدة دهب أمام غرفة العمليات يعتريها القلق والخوف على حفيدتها، القلق نهشها بشدة.

ظلت تلهج بالدعاء بأن تقوم منها سالمة، فهي تعيش لأجل ضحى وهي كل مَن لها في الدنيا، فإبنتها لا تسأل عنها أبدًا.

خرج الطبيب من الغرفة والعرق يتصبب منه فأسرعت دهب نحوه وسألته بقلق عن ضحى فقال مبشرًا: لحقناها على آخر لحظة الحمد لله وقفنا النزيف وعوضنا الدم اللي فقدته وخيطنا، ربنا نجاها والله، متقلقيش شوية وتفوق.

.....

دقائق مرت كأنها أعوامًا ها قد فاقت ضحى ورأسها ملفوفة بالشاش الأبيض وجلست بجانبها جدتها فقالت بنبرة قلقة: حبيبتي يا بنتي عملوا فيكِ إيه ولاد الحرام دول؟ إيه اللي حصل أنا محستش بحاجة.

فقالت ضحى بوهن: مفيش كنت داخله أنام الباب خبط فتحت ملقتش حد وبعدها اتضربت على دماغي ومحستش بحاجة بعدها.

ربتت الجدة على كتف ضحى وقالت بأسى: الحمد لله جت سليمة أنا كنت هموت من القلق عليكِ.

فقالت ضحى بضعف: حبيبتي بعد الشر عليكِ، أنا بقيت زي الفل أهو متقلقيش. خليكِ بس قاعدة جمبي كدا هطمن.

فقالت الجدة: جمبك ومش هسيبك يا نضري.

أتت الشرطة وحققت مع ضحى وأعادوا لها ما سرقه اللصان.

بينما اللصان اعترفا بما حدث فتم حبسهما بتهمة الشروع في قتل والسرقة أيضًا.

.....

ظلت تغدو ذِهابًا وإيابًا والحيرة والقلق ينهشها.

ف ضحى لم تأتي إلى الآن وليس من عادتها التأخير أو الغياب، تُرى أ حدث معها مكروهًا!؟

لا لا لعله خير.

قال لها المدير: أستاذة تهاني خدي فصل 1/6 احتياطي، ضحى مجتش خُدي مكانها.

وافقته وانطلقت لفصل طلاب الصف السادس الإبتدائي.

ألقت السلام ثم كتبت على السبورة " احتياطي"

ثم جلست وقالت: مش عاوزه أسمع صوت، نلتزم الهدوء.

تعجب التلاميذ، فهذه حصة ميس ضحى، لماذا لم تأتي!؟ أ مريضة هي!؟

قامت تهاني بالإتصال بضحى عدة مرات يعطيها جرس ولا أحد يرد.

فعزمت أن تزورها بمنزلها بعد الحصة، فقلبها لا يحتمل أن ينتهي اليوم الدراسي لتذهب لها.

دلف أستاذ سراج وظهر على ملامحه القلق وقال لتهاني: أستاذة تهاني ممكن خمس دقايق بعد إذنك.

ذهبت معه للخارج فسألها عن ضحى فهي لم تحضر طابور الصباح وهذا لم يحدث من قبل فقال بقلق: أستاذة ضحى مجتش إنهاردة؟ هي تعبانة؟

فقالت تهاني بحيرة: معرفش، أنا نفسي معرفش، بكلمها مش بترد ومعرفش غايبة ليه بس أنا قلقانة عليها أوي لأنها لو عاوزه تغيب بتعرفني قبلها.

عمومًا بعد الحصة ما تخلص هستأذن وأروح أزورها أشوف إيه الأخبار.

فقال برجاء: ممكن أجي مع حضرتك، اطمن عليها.

لاحظت تهاني القلق على محياه والخوف ينهشه عليها فقالت لنفسها: والله بيحبها ياريت متضيعهوش من ايدها.

ثم قالت له: أستاذ سراج مش هينفع، مفيش رجل في البيت وهي عايشة هي وجدتها بس لو حضرتك روحت معايا الناس مش هترحمها وهيضايقوها بالكلام، ياللي رجل غريب داخل ومش عارفه إيه!

أنا هتطمن عليها وهطمنك متقلقش.

ظهر الأسى على محياه ثم قال: تمام يا أستاذة تهاني متنسيش عن إذنك.

.....

عادت ضحى للمنزل برفقة جدتها، ثم قالت دهب: خليكِ مستريحة هروح أعملك شوربة ولحمة أنتِ نزفتي كتيير يا ضنايا.

فقالت ضحى بعتاب: يا تيتا أنتِ تعبانة، وبعدين أنا بقيت زي الفل أهو متسبنيش أتدلع.

ضحكت دهب بطِيبة وقالت: اتدلعي يا حبيبتي ومالو، بس أنا معجزتش وأقدر أقف وأطبخ كمان، سيبني بقا أطبخ مدخلتش المطبخ من زمان.
ابتسمت ضحى والقت لها قُبلة في الهواء.

.....

ذهبت تهاني لمنزل ضحى وفتحت لها الجدة فسلمت عليها ثم سألت على ضحى فقالت الجدة: بنت حلال، دي لسه جاية من المستشفى يا عيني ادخلي هتلاقيها في أوضتها.
صاحت تهاني بقلق: يلاهوي مستشفى.. إيه اللي حصل؟؟
أسرعت لغرفة ضحى وبمجرد أن رأت الشاش يغطي رأسها انزعجت وقالت: نهار أبيض مين عمل فيكِ كدا يا ضحى؟؟
قصّت عليها ضحى ما حدث فظهر الغضب على وجه تهاني وقالت:منهم لله ولاد الحرام ربنا ينتقم منهم وحسبي الله ونعم الوكيل فيهم كلهم نفر نفر.
ثم أتت الجدة بالشوربة واللحم وأطعمت ضحى وحكت أيضًا ما حدث معها وذاك اللص الذي جلب لها الماء، يا له من لص عطوف.
ضحكت تهاني على ذاك اللص وقالت لتواسي ضحى: قدر ولطف الحمد لله إنها جت على أد كدا.
تنحنحت ثم قالت: أستاذ سراج كان قلقان عليكِ أوي وكان الود وِده ييجي يزورك لما لاحظ غيابك بس أنا قولتله مينفعش مش معاهم رجل في البيت تدخل إزاي وكلام الناس مبيرحمش.

صمتت ثم أردفت قائلة:

والله باين عليه أوي إنه بيحبك وبيموت فيكِ كمان.

شردت ضحى قليلًا تتذكر أستاذ سراج ثم قالت: أنا بقيت بخير، أشكريه على سؤاله عليا.

نظرت تهاني نظرات ثاقبة لعيون ضحى لتستشف ما بداخلهما فالعيون نواطق استطاعت أن تلاحظ الإعجاب وبوادر الحُب بمُقلتي ضحى ولكن لم تُعقِب ثم استأذنت وغادرت.

وبعد مغادرتها اتصلت بسراج وأخبرته بما حدث فحزن عليها ونهشه الخوف وتمنى لو يقابلها ويخبئها داخل أحضانه ويبعدها عن أي أذى.

ثم قال بشجن لنفسه: هتفضلي يا ضحى واجعة قلبي لحد إمتى!؟ مش آن الوقت بقى إني أروي عشقي من حُبك وقُربك! مش آن الأوان بقى إنك تكوني معايا وتطفي نار شوقي ليكِ ونار بُعادك عني!!؟

يارب قربّها ليا وحببها فيّا واجعلها من نصيبي في القريب العاجل يارب.

.....

حمل صور طفلتيه يُقبلهم بشوق وقال بعزم: هنزل مصر وأدور على شغل وأفضل وسط بناتي أحسن ميت مرة من الغُربة وقرفها، والشغل على كتاف مين يشيل..، لازم انزل مصر قريب بأي تمن.

يارب يسّر أموري وريح بالي وهوّن عليّا يارب.

.....

انتشر ما حدث لضحى كإنتشار الڤيروس في الخلايا فأتى لزيارتها الجارات والمعلمات وأيضًا التلاميذ ومنهم رباب التي أتت ومعها والدتها التي أصرت على الحضور فهي لم تلتقِ بها سوى مرة واحدة ولكنها أحبتها من حُب ابنتها لها.

.....

أفرغ الحصالة التي أدخر بها المال منذ زمن، فهو يدخر من قبل أن ينكسر قطار سلسبيل ومنذ أن انكسر قطارها وهو عزم أن جميع أمواله التي ادخرها سواء من الأعياد أو مصروفه سيجلب به قطارًا لحبيبته سلسبيل.

انطلق ليبتاع القطار ثم جعل البائع يغلفه بشكل جميل وانطلق لمنزل سلسبيل ليعطيها إياه.

.....

بعد عودتهم دق جرس الباب فأسرعت رباب وفتحته فإذا به مُهاب ومعه علبة مُغلفة فقال بإبتسامة شقّت ثغره: ازيك يا رباب.

ثم قال بتساؤل: سلسبيل موجودة!؟

فقالت وعيونها مُعلقة بالعُلبة المُغلفة التي يحتضنها بكلتا يديه: الحمد لله، جوا اتفضل ادخل.

فدلف للداخل والقى السلام على سميحة ثم قال: ازيك يا خالة سميحة.

لم ينتظر ردها ثم بحث بناظريه عن سلسبيل فوجدها أتت على صوته فأسرع نحوها وقدّم إليها العُلبة المُغلفة ثم قال: حوشت وجبتلك القطر اللي نفسك فيه.

أخذته منه بفرحة وأزالت الغلاف وأخرجت القطار من العلبة ثم وضعت كفها على فمها بإنبهار وتلقائيًا قبّلت مُهاب على وجنته كأنها بذلك تشكره بإمتنان ثم جذبته من يده وقالت بسعادة غامرة: يلا نلعب بيه.

وانطلقا للعب به.

شاهدت هذا المشهد كلًا من رباب وسميحة مصدومين مما حدث منبهرين من اهتمام مُهاب ومدهوشين من رده فعل سلسبيل.

.....

في اليوم التالي وعند عودة سلسبيل ومُهاب من المدرسة اقترح مهاب عليها اقتراح قائلًا: تيجي نلعب بالعجلة بتاعتي؟!

ظلت سلسبيل صامتة ثم قالت بأسى: بابا جاي من السفر وأنا هساعد ماما في البيت.

لوهلة تخيل مُهاب أن سيف سيأتي وسيضايق سلسبيل بتصرفاته الطائشة المستفزة فقال بجدية: طب أنا هاجي أساعدكم.

.....

ظلت ضحى حائرة، ف سراج يرسل سلامه لها في كل مرة تأتي تهاني لزيارتها، وآخر مرة أحضر لها وردًا مع تهاني أيضًا.

احتضنت وردة بين كفيها ثم استنشقت عبيرها وأخذت نفسًا عميقًا فدخل لرئتيها هواء مُحمل ببوادر حُبه.

ثم تقلبت على الجانب الآخر وابتسمت وهي تتخيله ملهوف عليها قلق بشأنها، يشتاق إليها.

فقامت بالإتصال بتهاني وقالت بجدية: أستاذة تهاني أنا خلاص قررت.

****

الحلقة الخامسة

فقامت بالإتصال بتهاني وقالت بجدية: أستاذة تهاني أنا خلاص قررت... أنا موافقة اتجوز سراج.

تهللت أسارير تهاني بسعادة وقالت بفرحة: يا الف نهار أبيض يا الف نهار أبيض فرحتيني والله، والله الفرحة مش سيعاني هاين عليّا اطلع الشارع و ازغرط.

ضحكت وقالت: مهو إحنا هنكتِّم على الموضوع لحد ما أخف، مش هينفع اتخطب بالشاش كدا.

دا أنا كدا أبقى وشي وحش على الرجل.

ضحكت تهاني وقالت بتلقائية: والله لو سراج عرف إنك وافقتي هتلاقيه جايلك البيت حالًا يكتب الكتاب، دا لمّا هيصدق.

ضحكت ضحى بخفوت وقالت مُغيرة دُفة الحديث: هرجع الشغل بعد يومين، زهقت من قعدة البيت. والمعلمات والتلاميذ وحشوني أوي.

فقالت تهاني بود: حبيبتي المدرسة هترجع تنور بيكِ، في غيابك كانت مِضلمة.

تنهدت ضحى ثم قالت: الله يسعد قلبك يا أستاذة تهاني، يلا عاوزة حاجة!؟

فقالت تهاني: سلامتك مع السلامة.

أنت يا مُهاب هتكنس السلالم خُد المقشة أهي. هاتها من فوق لحد.
خرجت هذه الكلمات من شفتي سميحة.
فاستجاب لها مُهاب وأخذ المقشة وشرع في كنس السلالم.
أكملت سميحة قائلة: وأنتِ يا رباب هتيجي معايا نغسل السجاد والستاير.
وأنتِ يا سلسوبة لمي لِعبك المبعترة دي وبعدها لِمي فرش السراير والكنب.
انطلقوا جميعًا بكل همة ونشاط يؤدون المهام المنزلية.
وما إن ينتهوا من مهمة حتى ينشغلوا بمهمة أخرى..
حتى أرهقهم العمل وأصابهم التعب وجلسوا ليستريحوا قليلًا، فجلبت سميحة بعض الأطعمة من الثلاجة وشرعوا في تناولها فالجوع قد توصّى بمعدتهم وجعلها تقرقع وتصدر أصواتًا مزعجة مُستغيثة. والآن لبُّوا لها النداء وشرعوا بإمتلاء المعدة بالزاد.
فقالت سميحة بحنان: كُل يا مُهاب يا حبيبي أنت تعبت معانا، كُلي يا سلسوبة، كُلي يا رباب..
وبعد إنتهائهم قالت سميحة: رباب هتلم المواعين وتغسلهم ، وأنت يا مهاب هتكنس الأوض أنت وسلسبيل، وأنا هطلع أنشر الغسيل، وبعدين نمسح الأرضية أنا ورباب يلا همة.
شرعوا في إستكمال أعمالهم فبدو كخلية نحل تعاون جميع أفرادها بكل نشاط لصُنع العسل.

.....

جلس في مقعده بالطائرة مبتسم الثغر متلهف القلب يعتريه الشوق لضم طفلتيه اللتان حُرم منهن سنوات.

فأخرج بعض الصور وظل يتأمل ملامحهما بكل شوق، وقرّب الصور من شفتيه وقبّلهم.

ظل يضع بعقله سيناريوهات لقائهم، يتخيل نفسه قد وصل لمنزله وقابل زوجته الحبيبة بنت الأصول، وطفلتيه: رباب وسلسبيل وجذبهن لأحضانه. سيكون بعدها أسعد حالّا بعد أن يروي قلبه من رؤيتهم وتقبيلهم بكل شوق.

غفت عيناه وذهب في سُبات عميق وهو يحتضن الصور والبسمة لا تفارق ثغره.

.....

انتهوا جميعًا من العمل المتواصل ثم جلسوا لتناول العشاء فكانت عيون سلسبيل تغفو وهي جالسة فأطعمتها والدتها ثم وضعتها بمضجعها.

بينما مُهاب استأذن من سميحة بأن يعود لمنزله فوافقت وشكرته بلطف على وقوفه معهم طوال اليوم.

وبعدها ذهبت سميحة ورباب للنوم. فقد أرهقهم اليوم كثيرًا.

.....

أشرقت شمس يوم جديد وتجهزت سلسبيل وذهبت لمدرستها مع مُهاب.
بينما رباب ظلت مع والدتها تساعدها في فرش الكنب والسراير وتركيب الستائر.

.....

بعد عودة سلسبيل من المدرسة جلست تنتظر رجوع والدها من السفر.
أتت العمة مايسة أخت مصطفى، والجدة أنعام والدته.
وجلسوا جميعًا منتظرين قدومه.
دق جرس الباب فأسرعت رباب وفتحته فظهر مصطفى ومعه الكثير من الحقائب.
فأسرعت رباب لحضن والدها بشوق وقالت بفرحة: حمدالله على السلامة يابابا، وحشتني أوي.
ظل يُقبل رأسها عدة مرات ويشدد على عناقها فأخيرًا رأى ابنته التي غاب عنها طويلًا.
أسرعت سلسبيل هي الأخرى تقفز نحو أبيها فترك مصطفى رباب ورفع سلسبيل من الأرض وجذبها لحضنه بشوق وظل يُقبلها بشوق جارف.
ثم حضن والدته بشوق وظلت تبكي بفرحة وتُقبله بلهفة وتشدد على عناقه وتقول: حمدالله على سلامتك يا حبيبي بيتك نوّر والله، يارب ما يغيبك أبدًا يابني.
فقّبل رأسها وقالت: يارب يا أمي ربنا ميحرمنيش منك.

ثم حضن أخته بشوق فإنجرفت دموعها وقالت بإشتياق: حبيبي حمدالله على سلامتك، وحشتني أوي يا مصطفى، البيت كان وحش من غيرك.

فقّبل رأسها وقال: حبيبتي يا مايسة ربنا ميحرمنيش منك.

ثم نظر لزوجته بلهفة وقبّل رأسها ثم جذبها لأحضانه يروي سنوات غيابه عنها فقال بهمس عاشق: وحشتيني أوي.

فقالت بدموع: وأنت كمان وحشتني أوي، كنت بموت كل يوم في غيابك، متسبناش تاني عشان خاطري.

ففجرّ مفاجآته وقالت: أصلًا مش مسافر تاني، تُوبة على كدا..

الحمد لله، هدور على شغل واشتغل هنا وخلاص.

تهللت أساريرها وقالت بفرحة: طب والله فرحتني.

ثم تركها وفتح الحقائب وأخرج لوالدته وشقيقته بعض الهدايا التي جلبها لأجلهم.

وأخرج فساتين والعاب وملابس وتوك لطفلتيه ففرحتا بهم كثيرًا.

وبالطبع لم ينس زوجته فقد جلب لها الكثير.

استأذن وذهب ليأخذ شاور ثم أخذ قِسطًا من الراحة ليستريح قليلًا من عناء الطريق.

وبعد استيقاظه جاء لزيارته الأقارب والجيران والأصدقاء فرحين بقدومه.

وأتى أستاذ تميم وزوجته وابنه وفي ذات اللحظة أتت فريال ومعها سيف.

وطوال الجلسة يفعل سيف الكثير من التصرفات المستفزة ليضايق سلسبيل، جلس بجانبها ووضع يده على كتفها فنزعتها بقوة، ثم جذبها من يدها وقال: يلا نلعب بالقطر بتاعي.

فقالت بضيق: مش هلعب.

فقال بعِند: لأ هتلعبي معايا،

ثم جذبها من يدها بغضب فكادت يدها أن تلتوي فيده قوية للغاية.

فصرخت به قائلة: أنت وحش، أنا بكرهك.

وظلت تتألم بذراعها.

ترك مهاب والدته، فهو كل ما يحاول الذهاب لسلسبيل تمنعه حتى لا يفتعل المشكلات مع سيف، ولكن عندما سمع صوت صراخها من الداخل هبّ مذعورًا وهرب من قبضة والدته وانطلق لحبيبته سلسبيل التي ما إن رأته حتى ألقت نفسها في حضنه تبكي وتشكو له من سيف.

فتألم قلبه لحالها فضمها لصدره يربت على كتفها بحنو وحب.

ثم نظر لسيف والشرر يتطاير من مُقلتيه وأسرع نحوه وجذبه من تلابيبه قائلًا: أدك دي عشان تعمل كدا؟! أنت عبيط ياض!!

والله لو ضربتها تاني لهموتك ضرب يا غتت.

ثم صفعة على وجنته بغضب.

فصاح سيف وقال بعصبية: دي بنت خالتي مالك أنت بينا! وبعدين أنت بتضربني ليه!!

أنت مش عارف أنا ابن مين!؟

نظر إليه مُهاب بلامبالاة وقال: هششش، ابعد عن وشي عشان معوركش.

ثم جذب سلسبيل معه للداخل وأجلسها بجانبه وطوال الجلسة وهي تشبك أصابعها في أصابعه، تشعر بالأمان في كل مرة تجلس معه، يغمرها اهتمام وحب وخوف وغِيرة عليها.

بينما سيف جلس بجانب والدته ينظر لهما بحقد ومن حين لآخر يلمس كدمته فتؤلمه، فيسب مهاب في سره.

.....

ها قد عادت ضحى للمدرسة فقد تحسنت وأصبحت بخير حال.

تجمهر حولها المعلمات والتلاميذ يرحبون بها بكل فرحة.

وأتى سراج ولمح سارقة لُبه، لُبابة القلب.

فاستئذنها ليتحدث معها دقائق على انفراد فوافقت ووقفا في الشُرفة ثم قال بلهفة: أولًا الف سلامة عليكِ وحمدالله على سلامتك. المدرسة كانت مضلمة طول الفترة اللي غيبتي فيها.

ابتسمت ودق قلبها ثم قالت: الله يسلمك يا أستاذ سراج، شكرًا لسؤالك الله يجازيك خير.

فتنحنح ثم قال: أحم احم.. يعني هو أنا لسه عند قراري، أنا عاوز اتقدملك واتمنى إنك توافقي المرادي.

خجلت بشدة وأخفت توترها بصعوبة ثم قالت بعجلةٍ: هفكر وبعدها هبلغ ردي للأستاذة تهاني وهي هتقولك، عن إذنك.

نظر في إثرها وابتسم، يشعر بأمل هذه المرة عكس المرات السابقة كانت الخيبة سيدتهم.

.....

ذات يوم خرجت سلسبيل لتبحث عن مُهاب لتلعب معه فوجدته يجلس أمام منزله يبكي.

فأسرعت نحوه وجلست بجانبه وقالت بتساؤل: ليه بتعيط يا مُهاب؟ مش تعيط.

وشرعت تجفف دموعه بأناملها الصغيرة.

فقال بحزن: نقصت درجتين في الإمتحان وبابا هيضربني عشان مذاكرتش كويس.

فكرت سلسبيل قليلًا ثم قالت ببراءة وعفوية: لأ مش هيضربك، أنا هديك درجتين من بتوعي، مش تعيط.

وشرعت تشاركه البكاء.

تأملها وهي تبكي وجهها أبيض ملائكي والبكاء جعل وجهها مختلط باللون الأحمر، عفوية هي بريئة صادقة ونبرتها طفولية خالصة خالية من حقد أو دهاء.

فجفف دموعها وكفّ هو عن البكاء ثم قال: خلاص مش هعيط. كفاية عياط بقا.

فأومأت برأسها بإيجاب وجففت دموعها بظهر كفيها..

فقال بإبتسامة صغيرة شقّت ثغره: قومي نلعب بالعجلة بتاعتي.

فقالت ببراءة وهي ترفع كتفيها بجهل: مش أعرف.

فقال: هعلمك.

فأحضر دراجته وأمرها أن تصعد فوقها وساعدها على ذلك ثم بيد أسندها وبالأخرى قاد الدراجة ودار بها حول المنزل فتهلل أساريرها وابتسمت بسرور وهي تقود الدراجة، وكلما ينظر لبسمتها يبتسم هو الأخر.

كان تميم يتابع المشهد من بدايته من وراء السِتار فابتسم على براءتهما وعزم على ألّا يعاقب مهاب هذه المرة لعله يعوض في الإمتحانات القادمة.

.....

في الإستراحة جلست ضحى مع تهاني تقص عليها ما أخبرها به سراج.

فقالت تهاني بتساؤل: وأنتِ قولتيله إيه؟

فقالت ضحى بإرتباك محشو بالخجل الفطري: قولتله إني هوصل ردي معاكِ وكدا بس يعني كنت متوترة وكنت هنسحب من لساني وأقوله موافقة بس سِكت.

فابتسمت تهاني وقالت بفرحة: على بركة الله هروح اقوله إنك موافقة، دا هيطير من الفرحة.

فقالت ضحى بتوتر وخوف: لأ متقوليلهوش دلوقت، اتقلي كدا يومين تلاتة. عشان ميحسش إننا واقعين.

ضيقّت تهاني عيونها وقالت بمكر: من حيث واقعين فأنتوا الإتنين واقعين لشوشتكم، ومن حيث التُقل فأنتِ تِقلتي على الرجل أوي لحد ما استوي،ليكِ سنين بتتقلي عليه كفاية كدا الرجل جاب آخره.

يا بت وافقي وخليني أروح أبل ريقه وأفرحه بدل ما تيجي واحدة تنتشه منك والله ما هتلاقي زيه تاني.

فكرت ضحى بكلام تهاني ثم قالت بخجل: خلاص أبقى قوليله ييجي بكرة بعد العشاء بس تقوليله بعد ما أخلص حصتي وأروح.

ضحكت تهاني وقالت: ربنا يهنيكم ببعض يارب.

ثم قالت ضحى برجاء: طبعًا يا أستاذة تهاني لازم تبقى معايا في يوم زي دا.

فقالت تهاني بتأكيد: طبعًا يا حبيبتي هبقى معاكِ طول اليوم ومش هسيبك، متقلقيش.

فقبلتّها ضحى وقالت بحب: ميحرمنيش منك يارب.

.....

منذ أن علِم بموافقتها وهو يشعر بأنه يمتلك جناحات ويود لو يطير بهما ويذهب إليها في الحال ولا يتركها لحظة واحدة.

هي من تمناها زوجة له، رفيقه دربه، مأمنه، وآمانه، وعشقه، وهيامه، أخيرًا سيشعر بالدفء معها.

أن تتحقق أحلامنا التي ظنناها مستحيلة بدون حِيلة، فنشعر بشعور جميل لا يُوصف .

فهي _ ضحى_ كانت حلم مستحيل والآن باتت على مشارف التحقق.

.....

أتى مع والدته وجلست معهم الجدة وتهاني وتحدثوا قليلًا.

ثم دلفت تهاني للداخل لتأتي بضحى التي ظهر عليها التوتر والخجل.

فرحبت بوالدته ثم جلست، فأمرتهم تهاني بتركهما ليتحدثا بحرية فقالت:

يلا يا حجوجة يلا يا أم سراج تعالوا نقعد في الأوضة اللي قصادهم.

ففهمتا غرضها ولبتا نداءها.

.....

جلس سراج مع ضحى على انفراد فبدء حديثه قائلًا: طبعًا أنتِ أكيد عارفه كل حاجة عني لإني سبق وقولت في المرات اللي اترفضت فيها.

ثم أضاف بمرح قائلًا: بس هعيد تاني مش مشكلة.

أنا سراج فاروق عندي 30 سنة والدي ميت وعايش مع والدتي،بصلي الحمد لله شقتي جاهزة فوق شقة والدتي علطول، مخطبتش قبل كدا دي الأولى والأخيرة بإذن الله، بحب الكشري جدًا، مش بحب اللبن خالص، شغال مدرس في نفس المدرسة بتاعتك، وبدي دروس بأسعار مخفضة. بس دا كل حاجة عندي.

عاوزه تسأليني في أي حاجة!؟

طلباتك كلها أوامر مين إيدك دي لإيدك دي.

ابتسمت وأعجبها نبرته المرحة في الحديث وقالت: شرطي الوحيد إن تيتا تقعد معانا، هي ضّحِت كتير عشاني وأنا مستحيل أفرط فيها أبدًا. تعبانة ومقدرش أسيبها لوحدها.

فقال سراج بترحيب: وأنا مش معترض، بالعكس مبسوط من كدا، دي هتبقى بركة بيتنا ومش هفرط فيها أنا كمان.

اطمأنت لموافقته تلك، فكل من تقدم قبله اعترض على هذا الشرط.

ثم أضافت قائلة بقلق: هو حضرتك عارف إن ماما وبابا منفصلين وأنا تيتا اللي ربتني واتحرمت من حنان ماما وعطف بابا بس تيتا قامت بالدورين؟

أومأ برأسه بإيجاب وقال بتفهم: عارف كل دا استاذة تهاني قالتلي عليه، مش ذنبك إنهم انفصلوا وسابوكِ من غير أم وأب، وممكن دا كان سبب وعائق في فكرة إنك توافقي تتجوزي وتبني أسرة صح؟

هزت رأسها بتوتر وأضافت قائلة: خايفة إن علاقتي بزوجي أو أطفالي تفشل وأبقى إنسانة جبانة عمري كله. أو يطلع زوجي مش الشخص اللي اتمنيته فيكون غلطة عمري.

طمأنها قائلًا: متقلقيش يا ضحى من الموضوع دا، اللي شاري بجد مستحيل يفرّط لأنه داق الغُلب عشان اللُقا، وأنا شوفت الويل عشان أوصلك، فمأظنش إني هبيع ولا هفرط ولا هفكر أزعلك في يوم.

أنتِ زي اللؤلؤة اللي صاحبها خايف يطلعها برا الصدفة عشان متتأذيش، أنا صاحب اللؤلؤة وهخبيها جوا قلبي واحفظها من أي أذى.

دق قلبها بسرعة جنونية ولم تستطع كبح ضحكتها ولا فرملة سرعة قلبها ولأول مرة تشعر بأن قلبها على وشك الخروج من قفصها الصدري من شدة سعادته فأخيرًا أتى من يطلق سراحه الحبيس لينعم بحب وجليس.

تأمل خجلها ولم يستطع الحديث رأفة بخجلها الذي بدأ يتزايد.

فأشار لوالدته فأتت هي وتهاني والجدة.

فقالت والدته بتساؤل: اتفقتوا!؟

فقال سراج ببهجة: أه الحمد لله، شرطها إن جدتها تعيش معانا.

لم تعترض والدته بل رحبت بذلك وقالت بسعادة : وماله يا ضنايا، أنت هتعيش مع مراتك، وأنا البيت هيفضى عليّا مفيهاش حاجة لما الست دهب تيجي تعيش معايا وتاخد بحِسي وتونسني وأونسها.

فقالت والدته والتي تُدعى بنورة: إيه رأيك ياعروسة؟؟

طأطأت رأسها بخجل وقالت: موافقة.

ثم أسرعت تلتجأ بغرفتها.

فقال سراج بفرحة: إذا كان كدا بقا نروح دلوقت نجيب الدهب.

لم يعترض أحد، فنادت تهاني على ضحى وانطلقوا جميعًا لمحل مصوغات لإختيار الشبكة، وفي الغد ستكون الخطبة بشكل رسمي.

فأضاف سراج قائلًا: وكتب الكتاب والفرح بعد أسبوعين

اعترضت ضحى وقالت بتوتر: بس أنا مش جاهزة، نأجلها شوية.

فقالت سراج شارحًا: ماما وأستاذة تهاني وجدتك هيساعدوكِ في اللي ناقص مش هيسيبوكِ، ويستي هاتي اللي تقدري عليه والباقي نجيبه مع بعض بعدين، وبلاش كلمة تأجيل دي.

وافقت بصعوبة وغادر مع والدته والفرحة تغمره، وغادرت تهاني لمنزلها، بينما ضحى فمن شدة سعادتها ظلت مبتسمة طوال الليل ولا تصدق بأنها العروس القادمة.

.....

جلس أستاذ محمود الاخصائي الإجتماعي مع أستاذ تميم والد مُهاب على إنفراد وقال: محتاجك في خدمة وعارف إنك مش هتتأخر عليّا وهتساعد باللي تقدر عليه..

فقال تميم بإهتمام: عينيا ليك، أؤمرني.

فقال محمود شارحًا: بص يا سيدي.....

****

الحلقة السادسة

فقال محمود شارحًا: بُص يا سيدي فيه واحدة جارتي في البلد أرملة وعندها أيتام عيل في إبتدائي وعيل في إعدادي ومحتاجين ياخدوا دروس بس أنت عارف أقل درس بكام دلوقت ووالدتهم مش هتقدر على مصاريفهم، قولت أقولك أنت شهم وصاحب واجب وأكيد مش هتتأخر في مساعدتهم.

أنصت تميم لكلماته ثم قال بصدق: بس كدا!! دي مش عاوزه تفكير، خليهم ييجوا ومش هاخد منهم مليم واحد. ولو احتاجوا حاجة عينيا ليهم طبعًا. وهتفق مع مدرسين المواد التانية يشرحولهم مع الطلبة من غير حاجة.

ربنا يقويها عليهم يارب.

ابتسم محمود وقال بإمتنان: كتر خيرك يا تميم، ربنا يجعله في ميزان حسناتك يارب، ياريت كل المدرسين يعملوا زيك كدا. كانت الدنيا انصلح حالها.

فقال تميم شارحًا: مش كل المدرسين وحشين وعاملينها سبوبة وتجارة ياكلوا منها عيش ومش بيراعوا الغلابة.

في كل مكان هتلاقي مدرسين بيراعوا الغلابة، ولو بييجي عندهم اتنين اخوات بياخدوا من واحد بس عشان مقدرين ظروف أهاليهم في ظل الغلاء دا.

وصدقني أي طالب بيطلب مني حاجة مش بتأخر عليه حتى لو مش بياخد عندي، طالما بإيدي أساعده يبقى متأخرش عليه، وبستحرم أخد فلوس من أي طالب أبوه شغالة باليومية

والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه.

ربت محمود على كتف تميم وقال بسعادة: حبيبي يا أبو مُهاب ربنا يقدرك على فعل الخير ويجازيك خير وينفع بيك ويقر عينك بما تتمنى.

فقال تميم بسعادة: يارب اللّٰهُمَّ آمين ولك بالمثل يا محمود.

.....

مرّت الأيام بسرعة البرق وها قد أقبل يوم الزفاف وكتب الكتاب.

حضر والدها كتب الكتاب بعد محاولات عدة حتى يكون ولي العروس.

ارتدت ضحى فستانًا في غاية الروعة وكانت جميلة مثل أميرات ديزني.

دلف سراج لغرفة تزيينها حاملًا باقة زهور فأدرات له ظهرها وظلت تبتسم بخجل وكلما يقترب منها تستدير للجانب الآخر وفي النهاية اقترب منها وجذبها لأحضانه ودار بها بسعادة غمرت قلبه الظمآن والآن يرتوي من فيض حُبها و قُربها من قلبه.

نظر لعينيها ثم قال بعشق: بحبك أوي. عيونك دول جننوني.

قالت بخجل: وبعدين يا سراج!

طوّق خصرها ثم قال بهيام: سيبيني ابعبع باللي جوايا انا كتمت كتيير، بحبك من زمان، عانيت كتيير عشان أوصلك،

مكنتش شايف غيرك، كان نفسي قلبك يرق، كنت خايف متبقاش من نصيبي، بس دلوقت أنا في قمة سعادتي عشان بقيتي ليا وبتاعتي لوحدي.

أصابت وجنتيها حُمرة الخجل ولم تستطع النطق بأي كلمة فقط قلبها ينبض بقوة وتشعر بصدق كلماته التي دخلت قلبها بدون استئذان.

فجذبها من يدها برفق واستقلا سيارة الزفاف المزخرفة بالورد والبالونات وشرايط الزينة الملونة الجميلة.

وصلا لسيشن وقامت الفوتوغرافر مي بتصويرهم في أماكن وأوضاع مختلفة.

وفي النهاية انطلقا لعش حبهما وعلّت الزغاريط.

والجميع سعيد لأجلهم: تهاني والجدة دهب ووالدته والمعلمات صديقات العروس وأيضًا التلاميذ حضروا وشاركوها فرحتها.

.....

ثلاث سنوات مرّت ازدادت فيهم غِيرة مُهاب على سلسبيل بل وزاد حبه لها، أصبحت سلسبيل في الصف الخامس الإبتدائي ، بينما مُهاب في الصف الأول الإعدادي هو وسيف، ورباب في الصف الأول الثانوي.

.....

في فصل الصف الخامس الإبتدائي دلفت معلمة المسرحية ميس أنيسة للمرة الثانية في نفس العام ثم شرعت حديثها قائلة: بإذن الله البنات اللي شاركت معايا في المسرحية الاولى هتشارك معايا في المسرحية دي كمان.

صاحت التلميذات بحماس منتظرين تلك المسرحية إلا واحدة لم تعرف الفرحة طريقها فشردت وهبطت دموعها إنها سلسبيل.

جلست في الإستراحة تبكي بغزارة فأتى مُهاب يسألها عن حالها بقلق فمدرسته بالقرب من مدرستها وكلاهما بفناء واحد.

فقال بقلق: مالك يا سلسبيل بتعيطي ليه!!؟ حد زعلك؟؟ يا بت انطقي.

فقالت سلسبيل شارحةً والدموع تهبط منها وتشهق: ميس أنيسة اختارت بنات تمثل للمسرحية من فصلي وفرحت ليهم أوي والله والمسرحية نجحت.

ودلوقت جت الفصل وعاوزه تختار نفس البنات يمثلوا، مش المفروض تدينا فرصة نمثل زيهم؟؟ أنا بصراحة بقا نفسي اطلع المسرحية دي.

جلس مُهاب بجانبها وجفف دموعها بأطراف أصابعه وقال بحب: بطلي عياط دموعك دي غالية عليا.

ولو على المسرحية يستي هتطلعي متشليش هم خالص.

كفّت عن البكاء وقالت بفرحة: بجد هطلع المسرحية! بس إزاي؟؟

قام من جلسته وقال بعجلةٍ: مش مهم إزاي، المهم انك تطلعيها.

وانطلق يبحث عن ميس أنيسة.

.....

وجدها تجلس في الإستراحة فاقترب منها قليلًا ثم قال بأدب: بعد إذنك يا ميس أنيسة محتاج اتكلم مع حضرتك في موضوع.

فوافقت وقالت بإبتسامة بسيطة: اتفضل طبعًا.

فقال شارحًا: أنا جاي بخصوص المسرحية.

ثم أضاف بتساؤل: ينفع حد يشارك ولا كدا خلاص اكتمل العدد؟؟

فقالت بدون تفكير: اكتمل العدد خلاص.

فقال بتساؤل: طب ينفع البنات اللي طلعت أول مرة يسيبوا فرصة للبنات اللي مطلعتش خالص عشان الكل يشارك يعني ومحدش يزعل؟

أنصتت لكلماته ثم قالت: بس مفيش بنت من البنات اللي مطلعوش عرضت عليا تطلع ورفضت.

فقال بكل صراحة: سلسبيل جارتي نفسها تطلع مع حضرتك هي مطلعتش قبل كدا وشاطرة جدًا في التمثيل.

ابتسمت وقالت: أنا موافقة إنها تمثل معانا خليها تيجي اتفق معاها على الدور، وعلفكرة أنت خليتني أخد بالي من حاجة مكنتش واخده بالي منها، كل طالبة ليها حق المشاركة طبعًا، أنا هغير فريق المسرحية وهختار بنات جديدة تمثل.

شكرها بإمتنان ثم قال بتساؤل: احم يعني هي المسرحيات دي فيها ولاد!؟

تفهمت ما ينوي قوله وقالت شارحةً: لا متقلقش المسرحية هادفة جدًا ومفيهاش إختلاط خالص.

شكرها للمرة الثانية بسعادة ثم انطلق يزف الخبر لسلسبيل.

والتي ما إن علمت بموافقتها حتى تهللت أساريرها ببهجة وانطلقت إليها لتعرف دورها وتتقنه. وبالطبع لم تنس أن تشكر مُهاب الذي سعِدَ لسعادتها.

.....

ذهبت رباب مع نهى للدرس الفرنساوي وطوال الطريق يتحدثا في موضوعات عِدة وفجأة لمحت نُهى زبيدة زميلتهما تدلف بناية سكنية.

فقالت نهى وهي تشير بإتجاهها: بصي يا رباب البت زبيدة بتعمل إيه هنا؟؟ مش هي عندها درس فيزياء معاكِ بعد ساعتين والمفروض إنها بتذاكر دلوقت؟

فقالت رباب بلامبالاة: وإحنا مالنا تروح مطرح ما تروح، يمكن جايه تزور حد من قرايبها، عمتها خالتها كدا يعني..

هي فعلا عندها درس فيزياء معايا كمان ساعتين بس عادي ممكن ذاكرت امبارح.

فقالت نهى بشك: ممكن.

فنظرت رباب في اثر زبيدة وشردت لحظات.

ثم أكملت طريقها للدرس مع نهى.

.....

منذ أن عاد مصطفى من الأردن آخر مرة وهو يعمل هنا، ابتاع ميكروباص وطوال اليوم يعمل عليه بجد ونشاط.

.....

جلست على المقعد حاملة بين يديها صغيرتها رهف التي تبلغ من العمر عامان فقط وظلت تهدهدها حتى غفت عيناها وذهبت في سُباتٍ عميق.

فوضعتها في مضجعها ثم فتحت البوم صور زفافها وظلت تتأمل في كل الصور بتمعُن، لمحت جدتها دهب فبكت وقالت بشوق: وحشتيني يا حبيبتي، مش مصدقة إنك فارقتيني من سنة ونص، ربنا يرحمك ويغفرلك ويجمعني بيكِ في الجنة يا قلبي.

كنتِ أحلى حاجة في حياتي.

عاد سراج من الخارج فسمع شهقاتها وبكاءها فأصابه القلق عليها فأسرع نحوها وجذبها لأحضانه قائلًا بقلق: مالك يا حبيبتي! فيه حاجة تعباكِ؟!

لمح البوم الصور فعَلِم ما أبكاها فجلس وأجلسها بجانبه وجذبها لحضنه مرة أخرى وربت على شعرها بحنو وقال بلطف وحب:

حبيبتي أنا معاكِ وعمري ما هسيبك، تيتا دهب كلنا حبيناها كانت طيبة وبلسم لقلوبنا ربنا يرحمها.

طبيعة الدنيا كدا فراق ونسيان ، من رحمة ربنا بينا إننا بننسى مع الوقت عشان نقدر نكمل حياتنا، مهو لو الحزن والعياط هيرجع الي راح كنا فتحناها مناحة.

بس اللي بيهون علينا إننا في الجنة هنلتقي ونجمع تاني هناك وساعتها مش هيبقى فيه فراق ولا حرمان.

شددت على ذراعه وقالت برجاء: افضل اتكلم كلامك بيطمني وبيريحني.

طبع قُبلة على شعرها ثم قال بحب: من عيوني ربنا يريح بالك.

وشرع في الحديث مرة أخرى حتى غفت عيناها وغابت عن الدنيا وذهبت لأحلامها.

شرعت سلسبيل في عمل البروڤا الخاصة بالمسرحية مع زميلاتها والمعلمة أنيسة تلقي عليهم الأوامر والتعليمات من وقت لآخر.

أعجبت للغاية بآداء سلسبيل وقالت لها بإنبهار: رائع جدًا يا سلسبيل آدائك ممتاز.

فإبتسمت سلسبيل وقالت بعدم تصديق: بجد يا ميس تمثيلي حلو؟!

فقالت بتأكيد: كلمة حلو قليلة عليه، ما شاء الله عليكِ مبدعة.

ابتسمت بسعادة فقد أعجبها إطراء المعلمة وثناءها وعزمت أن تتقن دورها أكثر فأكثر.

.....

أيام مرت ولا جديد حدث حتى الآن.

ذهبت رباب مع نهى لدرس الفرنساوي وفي طريق ذهابهما لمحت نهى زبيدة تدلف لنفس البناية السكنية وتتلفت حولها من حين لآخر فقالت لرباب: بصي يا رباب البت زبيدة جات هنا تاني وعمالة تبص حواليها ولا كأنها بتعمل مصيبة وخايفة حد يقفشها. ما تيجي نطلع وراها ونشوفها رايحة شقة مين.

فقالت رباب بفقدان صبر: وبعدين فيكِ يا نهى خلينا في حالنا ملناش دعوة بحد..

ويلا نروح الدرس.

فصمتت نهى بينما قرضَ الشك قلب رباب وشعرت بشيء غريب يحدث ولكن انطلقت لدرسها مع نهى ولم تهتم.

.....

بعدما أنهت دروسها عادت للمنزل وبمجرد أن عادت حتى وجدت والدة زبيدة في إنتظارها ووجهها لا يُبشر بالخير إطلاقًا.

قالت لرباب بتساؤل: فين زبيدة؟

فقالت رباب بدهشة: إيه دا هي مجتش!؟ دي استأذنت وخرجت قبل الدرس ما يخلص بنص ساعة.

لم تصدقها وأمسكتها من تلابيبها تعنفها بشدة وتقول بغلظة: أنتِ هتستغفليني يا روح أمك! بنتي راحت الدرس معاكِ عملتي فيها إيه انطقي!!!

بكت رباب بحرقة وقالت بعصبية: معرفش إسألوها هي بتروح فين أنا مالي.

فظلت تضربها ورباب تصرخ وتجمهر الناس حولهم كل هذا ورباب تخشى أن تخبرهم بأنها تذهب للبناية تلك حتى لا يظن الناس فيها شرًا.

فأتت سميحة وأفلتت ابنتها من براثن والدة زبيدة وقالت بعصبية: جرا إيه يا وليه أنتِ احترمي نفسك تقلي أدبك على بنتي ليه؟؟! ما تروحي تشوفي بنتك راحت فين.

وهنا ظهرت نهى فجأة وقالت بصوت جهوري: أنا عارفه زبيدة رايحة فين..

أنصت الجميع لحديثها منتظرين أن يعرفوا أين ذهبت.

فغمزت رباب بعينها برجاء ألا تقول أمامهم أي حديث فيضعوها موضع شك.

فقالت نهى بصوت جهوري: يلا بيتك بيتك.. فيه إيه واحدة وراحت تزور صحبتها في المستشفى والموضوع جه فجأة ونسيت تقول لأمها يعني عادي.

ثم أخذت نهى والدة زبيدة على انفراد وقالت بهمس: زبيدة بنتك أكتر من مرة نشوفها بتدخل عمارة لوحدها قلنا ممكن بتزور حد من قرايبها.

ورباب الغلبانة اللي مسحتي بكرامتها الارض كانت بتحسن الظن فيها وقالت ممكن بتزور حد من قرايبها.

بس الموضوع اتكرر أكتر من مرة وكانت بتبقى ماشية تتلفت حواليها وانهاردة كنت راجعة من الدرس شوفتها في نفس العمارة فضلت ماشية وراها لحد ما وصلت للشقة اللي بتدخلها.

ولو مش مصدقاني تعالي معايا أوريهالك.

وبالفعل ذهبت معها هي ووالدها والشك يعتريهما، ودق جرس الباب ففتح لهما شابًا في الثلاثين من عمره فأزاحه والدها واسرع يبحث عن ابنته بالداخل فوجدها في وضعٍ مخل فشهقت بصدمة ووضعت يدها على فمها فجذبها من شعرها ولطمها على وجهها عدة مرات وهو يسبها بقهر ويقول: ليه عملتي كدا في أبوكِ!؟ جبتيلي العار ليه؟؟ ضحيت كتيير عشانك وفي الآخر أمشي راسي في الأرض بسببك يا سافلة.

بينما زوجته ظلت تلطم وجنتيها وتبكي بقهر هي الأخرى لا تصدق ما حدث.

في تلك الأثناء كان الشاب قد هرب.

فأخذها والدها وسافر بها الصعيد حيث مسقط رأسه متوعدًا لها بأن يمحي اسمها من على وجه الأرض.

اختفت زبيدة من ذلك الحين ولم يعلم أحد شيئًا عنها.

وانتشر في البلدة خبر سفرها للخارج ولكن ما حدث انها دُفنت حية تحت الأرض بعد أن صمم أعمامها على التخلص من عارها.

الحلقة السابعة

جلست نهى تروي لرباب ما حدث لزبيدة فقالت رباب بصدمة: مش معقول أنا مش مصدقة إن زبيدة يطلع منها كل دا.

كانت سميحة جالسة برفقتهن فقالت بحزم: خلاص بقا متخضوش في عِرضها، ما يمكن تطلع مظلومة والواد دا اللي ضحك عليها وغواها.

ربنا يغفرلها ذنبها، الله أعلم اهلها عملوا فيها إيه! لا حول ولا قوة إلا بالله.

عمّ الصمت على الجميع ولم ينطق أيًا منهن ببنت شفة، فمازالت الصدمة مسيطرة على عقولهن.

.....

انتقل مصطفى للعمل سائق بشركة كبيرة وهذا سيؤهله للحصول على أجر كبير.

فسُمعته الجيدة وأخلاقه كانتا سببًا في قبوله لهذا العمل.

.....

سنة تمر تليها الأخرى فالأخرى فتنضج عقولنا ونتعلم خبرات ونكتسب كفاءة.

ها قد جلست رباب تنتظر نتيجة الثانوية العامة على أمل أن تحصل على مجموع مرتفع يؤهلها لتحقق حلمها ألا وهو كلية طب الأسنان.

تغدو ذهابًا وإيابًا والقلق ينهشها بقوة وتتوتر أعصابها وأصبحت لا تحتمل كل هذا.

هدأتها والدتها قائلة: إهدي يا بنتي خير إن شاء الله والله ربنا هيجبرك وهتفرحي.

فقالت رباب بأمل: يارب يا ماما يارب.

فتحت الموقع وظهرت النتيجة وحصلت على 99٪ فقالت بفرحة: نجحت ياماما وهحقق حلمي وابقى دكتورة أسنان بإذن الله.

أطلقت سميحة الزغاريط ثم جذبت ابنتها لأحضانها تبارك لها بفخر وحب.

باركت لها سلسبيل قائلة: الف مبارك يا أجمل دكتورة عقبالي.

فقالت رباب بفرحة: ربنا يبارك فيكِ وتحققي حلمك يا أحلى سلسوبة.

ابتسمت سلسبيل ثم قالت: يارب يا حبيبتي.

أتت أم مهاب ومهاب ليباركا لرباب.

قالت أم مهاب بفرحة لرباب: الف الف مبروك يا حبيبتي تستاهلي كل خير عقبال العريس بقى.

فقالت رباب بسعادة: الله يبارك فيكِ يا خالتي أم مهاب، وعقبال مهاب بقى.

فقالت بإبتسامة: يسمع منك ربنا.

فقال مهاب مباركًا لرباب: الف مبروك يا دكتورة رباب عقبال التخرج.
فقالت سلسبيل بمشاكسة: أخ لو أونكل تميم يسمعك وأنت بتقول مبروك دي دا هينفخك.
فضحكت رباب وقالت: الله يبارك فيك يا مهاب ويارب نفرح بنجاحك وشد حيلك في الثانوية، وفكك من البت سلسبيل دي، دي هبلة.
فقال مهاب وهو يتأمل سلسبيل: سلسوبة مش هبلة، ولو هي هبلة فهتكون أحلى هبلة في الدنيا.
ضحكت سلسبيل وقالت: اللي ناصفني.
فقال مُهاب بهمس: عامله إيه في المذاكرة!؟ شدي حيلك كدا.
فقالت سلسبيل بإبتسامة صغيرة زينت ثغرها: بذاكر أول بأول الحمد لله، المهم أنت ذاكر كويس أنت أولى ثانوي.
فنظرت رباب لكلاهما وقالت: بطلوا مُحن ويلا وزعوا الشربات.
لولولولي..
جاء مصطفى من عمله فورًا بمجرد أن اتصلت عليه زوجته وأخبرته بالنتيجة والسعادة تغمره فهاهي ابنته الكبرى فلذة كبدة ستصبح طبيبة.
وقف على المقهى وقال بصوت جهوري مليء بالفرحة: واد يا حمامة وزع مشروبات ساقعة لكل المنطقة على حسابي. بنتي هتدخل طب.
قام الجميع بتهنئته بكل سعادة وسرور.

ثم انطلق لمنزله والفرحة تغمره فنادى على رباب وقال: دكتورة رباب تعالي يا حبيبة أبوكِ يا اللي رافعة رأسي.

القت نفسها بأحضانه وكلاهما يبكي بفرحة.

وأتت الجدة انعام والعمة مايسة والفرحة مرتسمة على وجوههن.

أطلقت مايسة الزغاريط وباركت لابنته أخيها بكل حب.

فها هي أول طبيبة في العيلة.

وأتت فريال وباركت لها أيضًا.

وكان يوم لايُنسى.

.....

بعد مرور أربع سنوات:

أصبحت سلسبيل بالصف الثالث الثانوي، ومُهاب في تانية جامعة كلية حاسبات ومعلومات، وسيف تانية جامعة كلية هندسة، ورباب في آخر سنة بكلية طب الأسنان.

عمل مُهاب في صيدلية شيفت مسائي حتى يساعد والده وليعتمد على نفسه ولا يكون عائلًا وعِبئًا على والده.

.....

وقف في الصيدلية وبيده ملازم وكتب يذاكر حينًا ويستريح حينًا.

فمرّت سلسبيل من أمام الصيدلية وكعادتها تأتي لتطمئن عليه وتتحدث معه قليلًا.

فأزاحت الباب برفق ودلفت للداخل قائلة بمرح: يا مساء الصابون السائل وأنت مش سائل.

فضحك مهاب وقال: حلوة الأفيهات دي.

عامله إيه يا سلسبيل وأخبار المذاكرة! عاوزك تاكلي الكتب أكل وأسمع عنك كل خير.

فقالت شارحةً: بذاكر والله ومنظمة وقتي زي ما قلتلي، وصلاتي في ميعادها ومش بضيع وقتي، وبحل بعد المذاكرة وفي الريست بقرأ قرآن أو بأكل فاكهة أو بشم هوا في البلكونة. وبنام بدري كمان وبصحى بدري.

صفق بكلتا يديه وقال بحماس: براڤو، أنا فخور بيكِ أوي ومتفائل بيكِ. وبإذن الله تجيبي مجموع عالي وتحققي حلمك.

قالت بأمل: يارب اللّٰهُمَّ آمين.

صمتت ثم أردفت بعتاب: علفكرة أنا زعلانة منك يا مُهاب.

فقال بتساؤل: ليه! أنا زعلتك ولا حاجة؟؟

فقالت بأسف: أيوة زعلتني، أنت مبقتش تيجي تزورنا وتقعد معانا زي زمان. ليه يا مهاب بطلت تزورنا!؟

تنهد ثم قال بأسى: غصب عني والله مضغوط، على يدك من الكلية للصيدلية ومن الصيدلية للبيت برجع هلكان وهمدان وجعان نوم. وكمان حتى لو عندي ولو ساعة فاضية مقدرش أجي أصلي عارفك هتسيبي

المذاكرة وتقعدي معايا وأنا بصراحة واخد عهد على نفسي إني معطلكيش السنادي عن المذاكرة ولو
ثانية واحدة. وأديكِ أهو ضيعتي من وقتك رُبعاية.
ابتسمت ابتسامة لم تصل لأذنيها وقالت: ربنا يعينك ويقويك.
لاحظ ابتسامتها التي تلاشت فقال بود: السنة دي بس تخلص وأبقى أجي عندكم كتير. مش عاوزك تزعلي بقا.
ابتسمت بفرحة وقالت: الله عليك وأنت شبه عامر منيب كدا.
نظر في المرآة وقال بتعجب: سبحان الله شبهه فعلا، كان نفسي صوتي يبقى زيه.
فأضافت هي بمشاكسة: بصراحة أنت صوتك في الغُنى وحش، بس في الكلام حلو بصراحة.
تصنّع الغضب وقال: أنا بس اللي أقول على صوتي وحش أنتِ لا، يلا يا بت على بيتك هنرش ميه.
ابتسمت ولوّحت له تودعه ثم عادت للمنزل.

.....

جلس مُهاب يذاكر المحاضرات بتمعُن شديد وتركيز.
فقطع تركيزه صوت طفلة صغيرة بجديلتين ويظهر على وجهها البراءة قائلة: عمو خُد البامبرز دا مش طلع على أد أخويا.

نظر مُهاب لِما تحمله وتفحصه بنظرة ثاقبة ثم قال بسخرية: إيه دا بقا!! دا لبسه كمان.

فقالت الطفلة بعفوية: ماما لبستهوله بس طلع صغير عليه. بس متخافش معملش فيه حاجة ماما لحقته على آخر ثانية.

نظر للطفلة وقال بحاجب مرفوع: وعوزاني أرجعه !؟

خُدي يا بت أنتِ البتاع دا وقولي لأمك مش بنرجع حاجة يلا.

فأخذته الطفلة وزمجرت قائلة بغضب طفولي: مش هاخد حاجة من عندك تاني.

ثم تركته وانصرفت.

فنظر في اثرها وقال: يارب عافيني من القرف اللي بشوفه دا.

****

الحلقة الثامنة

ظلت جالسة على سجادة الصلاة بعد أن أنهت صلاتها وشرعت في الدعاء بقلب وَجل قائلة: يارب وفقني ونجحني وأكرمني وأطلع مجبورة الخاطر من السنة دي، يارب يسّر عليّا كل عسير ودبري أموري فإني لا أُحسن التدبير، وراضيني ووفقني لما تحب وترضى، يارب اديني على أد كرمك ولطفك يارب، وهوّن عليا يارب.

طوت سجادة الصلاة ثم ذهبت لمضجعها فقرأت أذكار النوم ثم غفت عيناها في نوم عميق ولم تستيقظ سوى الفجر على صوت المنبه.

.....

امتحانات الثانوية تقترب وتوتر الطلاب يزداد، الجميع يخشى من هذه السنة تحديدًا؛ لأنها تحدد مصير مستقبل الطالب على حد تفكيرهم.

جلست والتوتر يأكل جسدها كما يأكل الصدأ الحديد، لم ينتشلها مما هي فيه سوى قدوم مُهاب وجلوسه معها أمام أسرتها فهو أتى لأجلها لكي يطمئنها بشأن الإمتحانات.

جلس قُبالتها ووجّها لها حديثه قائلًا: أخبارك يا سلسبيل!

فقالت بدون تفكير: خايفة من الإمتحانات أوي ومتوترة جدًا.

فقال بهدوء: سلسبيل بالله عليكِ ما تتوتري ولا تخافي، دي سنة زي أي سنة. اهدي خالص كدا وعلى مهلك في الحل، التوتر هيخليكِ تنسي ولو نسيتي هتعيطي والشيطان يفرح فيكِ، فعلى إيه!؟

نهدى خالص ونحل واللي ربنا رايده هيكون، طالما عملتي اللي عليكِ هتعملي إيه تاني!

فقالت بإستسلام: حاضر هحاول.

نظر في ساعة يده وقال بعجلةٍ: لازم امشي الشيفت بتاعي بدأ.

عن إذنكم يا جماعة.

فقالت سلسبيل بلهفة توقفه: هتيجي تاني صح!

فقال بإبتسامة زينت ثغره: بإذن الله هوديكِ الامتحانات وأستناكِ لحد ما تخلصي كمان ، يلا السلام عليكم.

فقالت وهي تنظر في اثره: وعليكم السلام.

.....

وفي أول يوم امتحانات للثانوية العامة وقف مُهاب ينتظر سلسبيل أمام المدرسة والتوتر يغشاه يجلس حينًا ويسير ذهابًا وإيابًا حِينًا آخر ولسانه لا يَكُف عن الدعاء لها بالتيسير وجبر الخاطر.

ساعات مرّت كأنها سنوات وها قد انتهى وقت الإمتحان وخرج الطلاب منهم من شقت الإبتسامة ثغره سعيدًا بما دونه في الإختبار، ومنهم هائمًا لا

يشعر بما حوله فقط يفكر في مصيره المجهول، وآخرين أعياهم كثرة البكاء والصراخ داعيين على من وضع الامتحان بأدعية تخسف به الأرض.

قلق مُهاب وبحثت عيونه عن سلسبيل منتظرًا قدومها ليطمئن عليها، ومما زاد قلقه رؤيتها مُقبلة عليه والدموع تغرق وجهها.

وقف قُبالتها وقال بحزن ظهر بنبرته:قدر الله وما شاء فعل، اهدي يا سلسبيل بالله عليكِ اهدي خالص وبلاش عياط عشان خاطري، بإذن الله ربنا يكرمك ويجبر خاطرك متزعليش.

قالت بقهر خرج من أعماقها: مزعلش إيه بس!! دا الإمتحان كان صعب أوي. هو ليه بيعملوا معانا كدا!! ليييه؟

ظهر الأسى على ملامح مُهاب فقال بمواساة: كل حاجة نصيب وأسباب بتوصل لقدرنا اللي مش هنقدر نهرب منه.

بنبقى فاكرين إننا مش حالين كويس بس ربنا بيبهرنا بكرمه وإننا جبنا درجات عالية عشان تعبنا واجتهدنا.

روقي كدا وفكك من المادة دي والله هتعدي منها وهتعوضي في اللي جاي بعون الله.

اعملي سوفت وير للمادة دي من دماغك وروحي صلي ونامي شوية وبكرة إن شاء الله تبدأي تراجعي المادة اللي عليها الدور.

متخليش زعلك على أول مادة يضيعلك مجهودك من أول السنة في باقي المواد.

أنا واثق إنك قدها يلا يا بطلة حكايتك خدي استراحة محارب وارجعي أقوى.

أومأت برأسها بإيجاب وجففت دموعها ثم قالت بوهن: حاضر.

وعند عودتها فعلت ما أخبرها به فهدأت واستكانت ففي النهاية البكاء لن يُعيد إليها ورقة الإمتحان فلترضى بما كُتب لها.

.....

إمتحان التاريخ كان سهل جدًا وحليت كويس أوي يا مُهاب.

هكذا قالت سلسبيل بفرحة لمهاب بعد خروجها من اللجنة.

فتهللت أساريره وقال بفرحة: اللّٰهُمَّ لك الحمد، الحمد لله ربنا يوفقك يارب وعقبال آخر مادة. شدي حيلك كدا.

ابتسمت ثم قالت بمرح: لو شديت حِيلي أكتر من كدا هيتقطع.

فضحك وقال: الف سلامة عليه من القطع. يلا بقا أروحك عشان تستريحي كدا وتتكتكي لآخر مادة بروقان.

.....

جلست في المدرج الخاص بكليتها "الألسن" ثم قالت بعدم تصديق: يااه وبقيت طالبة جامعية أد الدنيا. مش مصدقة.

الأيام بتجري هوا.

اقتربت منها صديقتها هبة وقالت بفرحة: باركيلي اتخطبت.

ابتهجت سلسبيل وقالت بسعادة: الف الف مبارك يا حبيبتي ربنا يتمملك على خير عقبال الفرح.

فقالت بأمل: يارب يارب تسلميلي يا سلسوبة.

ثم جلست بجانبها وظلت تتحدث معها في موضوعات مختلفة.

.....

كانت عائدة من جامعتها، مرتدية دريس بنفسجي اللون وخمارًا فبدت كزهرة البنفسج البرّاقة.

و على جانب الطريق وقف شاب بالقرب منها قائلًا بميوعة: الا قوليلي متعرفيش فين شارع يا واحشني ازيك سلامات!؟

توترت وقلقت ولم تدرِ ماذا تفعل، فظهر فجأة مُهاب من العدم.

وظهر الغضب على وجهه واقترب من الشاب فلكمه على وجهه لكمة أخرسته وقال في ذات اللحظة بغضب ممزوج بالسخرية: تعالالي أنا بقى هوديك شارع يا مفارقني ازيك الله يرحمك.

ثم قال لسلسبيل بتساؤل: عملك حاجة الواد دا!؟

فقالت بسرعة: لا ملحقش، سيبه متوديش نفسك في داهية عشانه.

هرب الشاب بسرعة بعد هذه اللكمة.

فقال مُهاب بسخرية: للأسف مبقاش فيه رجالة، كلهم ماتوا في 73.واللي زي دا بقايا رجولة أو مخلفات.

وعشان كدا لازم تدافعي بدراعك، أنا هجبلك صاعق كهربي تصعقي بيه أي حد يرخم عليكِ فيبقى عامل زي الدبانة المحروقة ويبطل يقربلك.

ابتسمت وقالت بمرح: دا أنت متوصي جامد بقى.

حكّ ذقنه ثم قال بتأكيد: طبعًا، أصل أنا مش ضامن المرة الجاية اللي هيعاكسك هلحق أبرشمه ولا لا فعشان كدا هسيبك تبرشميه براحتك.

شكرته بلطف وقالت مبتسمة: شكرًا أوي يا مُهاب الله يباركلك يارب.

ثم انصرفت تحت نظراته الشاردة.

.....

إيه دا يا سلسبيل؟؟

تساءلت رباب عندما وجدت عُلبة بين يدي شقيقتها.

فقالت سلسبيل شارحةً: دا صاعق كهربي مُهاب اشتراهولي هدية ووصاني أخليه معايا دايمًا عشان لو حد قربلي أصعقه.

ضحكت رباب وقالت بمرح: يا سلام على الحُب يا سلام. للدرجادي خايف عليكِ! ارزقنا يارب.

شردت سلسبيل في كلمات رباب ثم قالت لتنهي الحديث: هطلع أذاكر بقا عندي محاضرات متأخرة عاوزه أخلصها.

لم تنتظر رد منها وأسرعت نحو غرفتها تحتمي بها من نظرات وكلمات شقيقتها.

.....

ذهبت لجامعتها وجلست في المدرج بجانب هبة صديقتها فلفت إنتباهها بكاءها وتحشرج صوتها فربتت على كتفها وقالت بقلق: مالك بس يا حبيبتي؟؟ مين زعلك!

قالت بألم يمزق نياط قلبها: خطيبي حبيت أفرحه حوشت وجبتله قميصين مقاسهم ميديم عشان هو مقاسه كبير وحطيت معاهم شيكولاتات وغلفتهم تغليفة حلوة ،القميصين مجوش على أده اتصل عليا وقالي دول مش مقاسي تعالي خديهم.

قولتله ماما خياطة تظبطهملك رفض، قولتله طب البسهم في البيت رفض برضوا وصمم إني أروح أخدهم منه.

وقفت تحت بيته ورماهملي في شنطة سودا عادية واسلوبه وكلامه ضايقني أوي.

وبعدها جه عندنا البيت وطلب شبكته وقال إيه شوفوا بنتكم ماشية مع مين وعشان كدا اتلغبطت في مقاسي.

كل دا عشان حاولت بس أفرحه. عاوز يفشكل معايا.

شقهت وظلت ترتجف وتبكي.

فجذبتها سلسبيل لأحضانها تربت عليها بحنو ثم قالت بمواساة: دا بيتلكك يغور في داهية دا مش بني آدم طبيعي، الله لا يسامحه، سيبوله الدهب وربنا يعوضك بواحد أحسن منه مليون مرة ولا تزعلي والله ما يستاهل ضُفرك، والحمد لله إنكم لسه على البر دا أنتم لو اتجوزتوا كانت

الفاس هتقع في الراس وهينكد عليكِ كل شوية ويشك فيكِ. متزعليش بقى يا هبة ربنا يعوضك بسيد الرجالة إن شاء الله.

احتسبي يا حبيبتي.

جففت دموعها ثم قالت: يارب، ربنا يعوضني أحسن منه.

.....

عند عودة سلسبيل من الجامعة قابلت مُهاب في الطريق مُرتديًا بدلة سوداء في غاية الجمال.

فوقفت أمامه وقالت بإبتسامة: عامل إيه يا مُهاب!

فابتسم هو الآخر وقال: الحمد لله أخبارك يا سلسبيل!

فقالت: الحمد لله.

صمتت ثم أردفت قائلة: إيه الشياكة دي أنت بتحب يا عم و رايح تخطب ولا إيه؟

نظر إليها بإستنكار فقلبه لا يعرف سِواها ولأنها حمقاء لا تعي ذلك أو ربما تعلم هذا وتنكر ثم قال بسخرية: أحب وأخطب وأنا لسه بدرس؟؟

أنا فعًلا بحب واحدة ومهما لمحتلها فهي حمارة مش بتفهم.

وقلبي ميعرفش غيرها ولا في يوم يفكر في غيرها أصلًا.

عمومًا يستي أنا رايح فرح أخو صحبي.

ارجعي على البيت وبلاش وقفة في الشارع يلا بسرعة.

تركته وانصرفت متجهه لمنزلها وهي تُحادث نفسها وعند وصولها لاحظت رباب ذلك فقالت بتساؤل: خير! بتكلمي نفسك يا بت؟

فقصّت عليها ما حدث ثم قالت بعدم فهم:هو يقصد مين؟!

فضحكت وقالت بسخرية : كل دا ومتعرفيش هو يقصد مين؟

صمتت ثم أردفت قائلة: يا هبلة يقصدك أنتِ. عنده حق يقول على اللي بيحبها حمارة. لأنها فعلًا حمارة.

شعرت سلسبيل بالغيظ ثم قالت: متقوليش عليّا حمارة.

فضحكت رباب ثم تركتها وانصرفت لغرفتها.

.....

أيام من العمل المتواصل وتجهيز عيادة رباب وشراء الأجهزة وإعداد العيادة على أكمل وجه.

وأخيرًا عُلقت اليافطة المكتوب بها« دكتورة رباب مصطفى»

أخصائية طب وجراحة الفم و الأسنان)

الكشف للأطفال والنساء فقط.

وفي نهاية اليافطة أرقام التواصل.

وقفت رباب تتأمل كل جزء من عيادتها فخورة بما وصلت إليه سعيدة سعادة لا تُوصف.

أعانها الله وساعدها والدها بتجهيز العيادة بشكل رائع للغاية.

وفي يوم الإفتتاح أحضرت كعكة مغروس بها شيكولاتة على شكل أسنان وأدوات خلع الأسنان. ووضعتها على المنضدة وتجمع حولها عمتها وجدتها وأسرتها وأسرة مُهاب، وفريال وسيف.

بارك لها الجميع فرحين بما وصلت إليه.

ضحكت سلسبيل وقالت: الكيكة تجنن والمشرط طعمه تحفة، أنتِ ناوية تخلعيلي ضرسي انهارده على يدك ولا إيه؟!

فضحكت رباب وقالت ساخرة: لأ ناوية أركبلك طقم أسنان أو أخلعلك ضرس وأحشي الباقي.

فضحك سيف ضحكة سمجة وقال: هتحشيه رز ولا إيه؟

فقالت سلسبيل بسخرية: مكسرات يا خفيف.

فغمز لها سيف وقال: بقول كدا برضوا، أصل البسبوسة هتتحشي إيه غير المكسرات يا بسبوسة أنتِ.

نظر له مُهاب بغضب وشرر يتطاير من عينيه وأراد أن يلكمه في وجهه فتسقط أسنانه الأمامية والخلفية ويكون أول زبون لرباب. ولكن لم يشأ أن يكسر فرحتها في يوم الإفتتاح فلاحظت رباب ذلك وقالت مُغيرة دُفة الحديث: يلا كُلوا يا جماعة عاوزه أقفل العيادة وأنام بدري عشان أصحى فايقة لأول يوم شغل.

فانهمك الجميع في تناول الكيك متغافلين عن نظرات مُهاب التي خرجت من الجحيم لسيف الأرعن.

الحلقة التاسعة

جلس مُهاب في الصيدلية يذاكر حينًا ويستريح حينًا تتلفت مُقلتيه على الأدوية المتراصة حوله ثم قام بتشغيل مقطع صوتي من القرآن الكريم وبعد ذلك بحث عن الأدوية التي نفذت ودوّنها في ورقة حتى يُحضرها فيما بعد.

فدلفت من الباب الزجاجي سيدة مُسنة وقالت له بوهن وعيونها تتجول في المكان: عاوزه علبة جبنة يا بني الله يسترك.

لحظات من الإندهاش غرق فيها مُهاب فقال لها بتساؤل لعله لم يسمع قولها: بتقولي عاوزه إيه يا حجة!؟

فقالت للمرة الثانية: بقولك عاوزة علبة جبنة.

فقال بأسف: مفيش جبنة، دي صيدلية يا حجة بنبيع فيها أدوية مش أكل.

هتلاقي جبنة في السوبر ماركت اللي على أول الشارع.

نظرت إليه بسخرية وقالت: إزاي يعني محل كبير زي دا مفيهوش علبة جبنة؟؟

أراد أن يُريح عقله ويتخلص منها ويجلب لها ما تريده فقال لها: هاتي يا حجة الفلوس أجبلك.

أعطتها له ثم ذهب للسوبر ماركت وأحضر لها علبة الجبنة أمام أعينها المراقبة له.

وعندما أتى قال لها: اتفضلي يا حجة علبة الجبنة.

فأخذتها منه ثم قالت بعنف واستحقار: أبقى كمّل بضاعتك بدل الصياعة دي. وأبقى هات بيض وشاي عشان مخزون الشهر قرب يخلص.

ثم تركته وانصرفت والضيق مرسوم على ملامحها.

بينما هو نظر في اثرها وضرب كف على كف وقال بضيق: لا حول ولا قوة إلا بالله، اشفي يارب.

.....

الناس اللي اتخطبت ونستنا، أيوا يا عم مين زيك!

هتفت رباب بهذه العبارة وهي تحادث الجالسة أمامها.

فقالت نهى بمرح: أنساكِ إزاي دا أنتِ اللي في القلب، طب حتى إسألي قلبي.

ضحكت رباب ضحكات رنانة ثم قالت: طب احكيلي بقى، أصلي بحب مُحن المخطوبين.

قالت شارحةً والبسمة لا تفارق وجهها: مستريحة معاه أوي وبحبه أوي، بيحترم رأيي وبياخد رأيي في كل تفاصيل الشقة بتاعتنا من دهان وأثاث وكل حاجة، مفيش مناسبة بيفوتها إلا وبيجبلي هدايا، قلبي بيدق كل أما بيشوفه، حساني محظوظة بيه أوي، وعليه كلام يدوّخ.

سعدت رباب لسعادة صديقتها وقالت بود: ماشاء الله اللّٰهُمَّ بارك، طب والله فرحتيني ربنا يتمملك على خير يارب وأشوفك سعيدة دايمًا ومبسوطة.

فقالت نهى بسعادة وهي ترفع كفوفها للسماء داعية: يارب يارب.

انغمست كلاهما في الأحاديث المختلفة فلم يخلو حديثهن من الثرثرة.

.....

جاءت أنعام ومعها مايسة لزيارة مصطفى وأسرته هذا أمامهم ولكن في الحقيقة لقد جاءتا لسبب آخر.

فبعد السلامات والترحيب قالت أنعام متسائلة: إيه البنات مش ناويين يفرحونا بقا ويتخطبوا!! سنهم بيكبر وهيفوتهم قطر الجواز. عاوزين نفرح.

فقالت سلسبيل تخاطب نفسها من بين أسنانها: قطر أما يدوس عليكِ، إن شاء الله عنك ما فرحتي.

فقالت سميحة بحزن: لسه والله، نصيبهم قاعدلهم.

فقالت مايسة العمة مقترحة اقتراحًا عزمت على تنفيذه بدون أن تنتظر موافقتهم: أنا هلف البلد وهجبلهم عرسان، أيوا مهو مش يكونوا معديين العشرين سنة من غير جواز.

نظرت سلسبيل لرباب وقالت بهمس: الحقي دي هتلف البلد تدورلنا على عرسان! مش متخيلة هتقف في الشوارع تقول عريس للبيع.

هنا وقهقهت كلاهما فأضافت الجدة قائلة: بت يا مايسة تاخدي بالك من الواد جعيدي جارنا في البلد! سمعت إنه بيدور على عروسة، بقول نخليه ييجي للبت رباب، وأنتِ تشوفي واحد لسلسبيل بقا.

جحظت عيون رباب وقالت بسخرية: أنا اتجوز واحد اسمه جعيدي!؟

بينما قالت سلسبيل بإستحقار وعدم تصديق: مش معقول دي عاوزه تدورلي على واحد!! هي بتنقيلي شبشب وأنا معرفش؟

تعلقت سميحة بالقشة التي ظنت أنها ستنقذ ابنتها من العنوسة وقالت: جعيدي جعيدي مش مهم الاسم، خلوه ياخد ميعاد من مصطفى ويبقى ييجي.

نظرت رباب لسلسبيل بعدم تصديق وقالت: دا هييجي!

ثم نظرت لوالدتها وقالت: يا ماما لأ يا ماما.

نظرت سميحة إليها نظرة أخرستها فصمتت وعزمت أن ترفض هذا الجعيدي، فليأتي وسأرفضه لن يجبرني أحدًا على الزواج غصبًا من شخص يُسمى جعيدي. قال جعيدي قال.

.....

ذهبت رباب لعيادتها بينما سلسبيل ظلت نائمة حتى أقترب آذان الظهر.

فأتت والدتها وفتحت النافذة فتسللت أشعة الشمس الذهبية لتضيء الغرفة بأكملها ففتحت سلسبيل عيناها بوهن وقالت سميحة بغضب: نايمة لحد الضهر واللي في سنك فاتحين بيوت يا سوادي على الخِلفة.

قومي يا بت ساعديني.

قامت سلسبيل بوهن وقالت بعتاب: يا ماما فيه حد يصحي حد كدا؟!

فقالت بسخرية: أومال أصحيكِ إزاي يا روح أمك! أفرشلك الأوضة ورد وياسمين ولا أجبلك عصفور كنارية يصحيكِ.

صمتت ثم أردفت قائلة: اصحي عندنا مصالح كتيير لازم نخلصها.

تململت في مضجعها وقالت بضعف: خلاص صحيت أهو. هنعمل إيه بقى!

فقالت شارحةً: هنروق البيت ونطبخ للعريس اللي جاي لأختك، أصله أخد ميعاد من أبوكِ.

ضحكت سلسبيل وقالت: عريس! قصدك جعيدي! بقى جعيدي عريس؟ هههه

أضافت سميحة بنبرة غاضبة: اقعدي اتريقي على جعيدي لما نشوف اللي هياخدك هيبقى اسمه إيه؟! وعامل إزاي؟

شردت سلسبيل في مُهاب ثم قامت من مكانها سريعًا وقالت بنشاط: أنا جاهزة.

شرعت في تنظيف المنزل بأكمله فقالت سميحة بجدية: بضمير مش أي كلام يا بنتي. عاوزه البيت يشف ويرف.

فأضافت سلسبيل بسخرية: حاضر، ولو عوزاني اغسل مُلل السرير وانضف موتور التلاجة وامسح تحت سيراميك الحمام أعمل برضك، أكيد ميرضنيش إن العريس وأهله يقول علينا معفنيين.

نظرت إليها نظرة ذات معنى وقالت: أنا هدخل المطبخ أكمل اللي ورايا، يلا إنجزي كدا وبعد ما تخلصي تعالي ساعديني، الناس هييجوا من سفر وهيحتاجوا أكل يُرم عضمهم.

تألمت من وجع ظهرها وقالت بألم: آه، حاضر يا ماما عنيا.

.....

قامت سميحة بالإتصال على رباب وقالت بحزم: العريس جاي كمان ساعتين، تيجي حالًا تروقي حالك كدا وتفردي وشك، أيوه عاوزه الجوازة تمشي.

فقالت رباب بإستسلام: حاضر يا ماما مش هتأخر.

بينما من داخلها أصرت على رفضه، فهي ستجلس معه لأجل والدتها وحتى لا تُكسر كلمتها ولكن لن توافق به.

....

أتى جعيدي بصُحبة والدته وأنعام ومايسة وجلسوا مع مصطفى وسميحة.

ووقفت سلسبيل من بعيد تراقب جعيدي وبسرعة أسرعت تخبر رباب قائلة وهي تضحك: الحقي يا رباب دا ودانه كبيرة عاملة زي أطباق الدش.

ضحكت رباب وقالت: يادي النيلة.

نظرت أنعام لسميحة وقالت: أدخلي هاتي العروسة.

فاستجابت لطلبها ودلفت للداخل لتحضرها.

.....

أتت سميحة لتحضر العروس قائلة: يلا يا بنتي هاتي العصير وادخلي ورايا.
فقالت رباب بخوف: يا ماما دا ودانه كبيرة واسمه جعيدي كمان.
لأ مش موافقة.
فنظرت سميحة لسلسبيل بشرٍ وقالت: أكيد اللي تتلب في لسانها هي اللي قالتلك! طب ماشي يا سلسبيل حسابك معايا.
ثم أكملت قائلة: يا بنتي الرجل ميعبهوش شكله، أهم حاجة أخلاقه وجيبه مليان، سيبك من الشكل.
فقالت رباب بعدم اقتناع: اسيبني من الشكل إزاي!!
مش لازم اتقبل شكله اومال هعيش معاه إزاي!؟
فقالت بلامبالاة: اطلعي اقعدي معاه الأول وبعدين نبقى نتكلم.

.....

خرجت وبمجرد أن وقعت عيناها عليه كادت أن تضحك فمنعت نفسها بصعوبة وجلست أمامه وهي تقول لنفسها: دا كمان أقرع وعيونه مبرقة يا حلاوة.
تركهم الجميع بمفردهم على أن يتابعهما مصطفى من بعيد.
فقال لها متسائلًا: خايفة مني؟
أخفت ضحكتها وقالت: لأ أنا مش بخاف من حد.
وبداخلها تقول أخاف إيه بس دا أنا كل لما أشوفك أضحك.
فقال شارحًا: أصل مراتي السابقة كانت بتخاف مني.

فقالت بإندهاش: مراتك السابقة! وهي فين دلوقت!! ماتت؟

فقال بهمس: لأ قتلتها.

صرخت بخوف قائلة: يا بابا الحقني مش هتجوزه.

تركته وانصرفت سريعًا للداخل.

بينما والدها والجميع أتوا على صوت صراخها، فقال مصطفى بحرج: آسف كل شيء قسمة ونصيب. إحنا مش موافقين.

فأخذته والدته وغادرت وخلفهم مايسة وأنعام.

فشرحت رباب لهم ما حدث فضحكت سلسبيل بينما فغرت سميحة فاها، بينما مصطفى قال: أنا مكنتش موافق من الأول، بس قولت أشوف آخرتهم إيه والحمد لله إنها جت على أد كدا.

.....

شهور مرت لم يحدث فيها شيئًا جديدًا.

وذات يوم زارت نهى رباب في عيادتها وهي تبكي قائلة: شوفتي يا رباب بعد 9 شهور خطوبة وفرحي كان قرب خطيبي يسيبني ويقولي كل شيء قسمة ونصيب.

دا إحنا كنا بنختار كل حاجة سوا، وكنت بعد الأيام والليالي عشان أكون معاه مقفول علينا باب واحد يبقى بالنسبالي الآمان، ييجي هو يفشكل.

ليه بيحصل معايا كدا هاا؟

حزنت رباب لما حدث مع صديقتها وقالت بألم: لا حول ولا قوة إلا بالله، ربنا يصبرك يا نهى.

حقيقي إحساس صعب أوي..

ربنا يرزقك بواحد أحسن منه متزعليش.

لو من نصيبك وخير ليكِ محدش هياخده غيرك.

معلش أصبري يمكن جوازك منه شر كبير وربنا نجاكِ منه.

محدش يعرف حكمة ربنا في كدا.

حاولت أن تجعل صديقتها تضحك لتزيح غمامة الهم من وجهها فقالت بمزاح: عارفه يا بت يا نهى، في الدنمارك بيرشوا قرفة على أي شخص وصل لسن ال25 سنة ولسه متجوزش، أومال إحنا اللي داخلين على ال27 هيرشوا علينا إيه ميه نار هههههه.

فضحكت نهى، ثم أضافت رباب قائلة: قلبي بيقولي إن أنا وأنتِ هنتجوز مع بعض قريب أوي.

وأنا إحساسي ميخيبش أبدًا.

وهنبقى سعداء ومبسوطين أوي.

ابتسمت نهى ودمعت عيناها بفرحة وقالت بأمل: يارب يا رباب يارب.

****

الحلقة العاشرة

جلست رباب في عيادتها تفحص حالة سيدة حيث تنظف لها أسنانها وتلمعها وتزيل الجِير المترسب الذي آلمها قبل مجيئها وجعل الدماء تسيل من فمها ولكن بعد إنتهاء رباب من عملية التنظيف شعرت السيدة براحة ونظرت في المرآة؛ لترى جمال بسمتها ولمعان أسنانها البرّاقة.

فقالت بإمتنان: الف شكر يا دكتورة، إيدك دي تتلف في حرير ومحستش بأي ألم.

فقالت رباب بسعادة: حبيبتي سعيدة جدًا إن شغلي عجبك ومحستيش بأي ألم.

صمتت قليلًا ثم دوّنت في الروشتة اسم منعش للأسنان (ري فريش) وقالت: كتبتلك منعش للأسنان هتمضمضي منه غطا يوميًا وأسبوع وتعالالي أخلعلك الضرس المسوس، يدوبك ظهر بعد إزالة الجِير.

فقالت السيدة: حاضر من عنيا، وهقول لكل الستات اللي في منطقتي عليكِ واخليهم ييجوا يكشفوا عندك.

فقالت رباب بإمتنان: شكرًا جدًا والله وأنا هعملك خصم كبير وهعمل لأي حد ييجي من ناحيتك خصم برضوا يلا يستي.

فقالت السيدة بود: ربنا يفتحها عليكِ يا بنتي ويراضيكِ ويرزقك بإبن الحلال.

شردت رباب وقالت لنفسها: آه بقى هو ابن الحلال دا مش ناوي بقى ييجي ولا إيه؟!

.....

اسكتي يا بت يا رباب دا أنا حلمتلك حتة حلم هيفرحك أوي والله، أنا نفسي في الحلم كان قلبي بيرقص من الفرحة عشانك.

صدرت هذه الكلمات من سلسبيل.

فقالت رباب بفرحة: بجد! طب احكيلي يلا.

جلست بجانبها وشرعت تقص عليها ذاك الحلم الذي رأته قائلة:

بصي يستي في الحلم احبال نور ملونة معلقة بشكل مبهج مالية الشارع من أوله لآخره، والجامع اللي على آخر شارعنا مليان رجالة ، فواحد كان معدي من قُدام المسجد وسأل واحد من الجيران وقاله فرح مين دا؟

راح رد عليه وقاله عقبال عندك دا كتب كتاب الدكتورة رباب بنت الأسطى مصطفى، ماشاء الله عريس زين الشباب ربنا يحفظه ويتمملهم على خير.

صحيت مزقططة وفرحنالك أوي.

هنفرح بيكِ قريب إن شاء الله، اسمعي مني.

تهلل وجه رباب وقالت بسعادة: الله الحلم جميل أوي، يارب يتحقق قريب أوي يارب.

ثم أضافت مازحة: وليكِ عندي لما دا يحصل يا سلسوبة هخلعلك ضرسك مجانًا، انبسطي يستي يلا.

قذفتها سلسبيل بالوسادة قائلة: بت يوم ما تجامليني تخلعيلي ضرسي! امشي يا بت من هنا.

قال تخلعي ضرسي قال.

فضحكت رباب بشدة ثم قالت: خلاص يا ستي مش هاجي عند ضرسك. يارب بس الحلم يتحقق قريب.

فقالت سلسبيل: بإذن الله هيتحقق قريب أوي

.....

«باركيلي يا سلسبيل،مكنتش عاوزه اتجوز دلوقت بس ابن الحلال جالي وقالي يا اتجوزك أنتِ يا هفضل طول عمري عازب، والزمن دا صعب، ترضالي الفتنة يا بنت الحلال؟!

صدرت هذه الكلمات من هبة صديقة سلسبيل فقالت بفرحة: الف الف مبارك يا حبيبة قلبي ربنا يتملك على خير، الحمد لله ربنا عوضك.

فقالت هبة بحُب: طبعًا لازم تكوني معايا من غير عزومة.

فقالت سلسبيل بفرحة: طبعًا يا حبيبتي هكون معاكِ في كل حاجة، مقدرش أتأخر عنك طبعًا.

هناك أحلام يرسلها لنا الله ك بشرى ليطمئن قلوبنا ونسعد بها فيكون الفرج قادم معها حتى لا نيئس من حياتنا.

وهذا ما حدث لرباب، فقد تحقق حلم سلسبيل وتقدم إليها طبيب مخ وأعصاب دكتور مروان قوي الشخصية، جميل الهيئة، عذب الحديث،مرح، وخلوق شعرت معه بالراحة والسعادة وكأنه تؤام روحها ويسّر الله الأمر وفي غضون أشهر قليلة تم كتب الكتاب وتحققت الرؤيا كما رأتها سلسبيل بالفعل، حيث الشارع امتلىء بالأضواء الملونة وامتلأ المسجد بالرجال لحضور كتب الكتاب.

وكانت سعادة رباب طاغية، فهاهي تُزف لفارس أحلامها النبيل، فظلت تتمخطر بفستانها البرّاق والبسمة لا تفارق شفتيها،

وقد صدق حدسها فقد تزوج شقيق زوجها ب نهى صديقتها وتم زفافهم في نفس اليوم كما قالت لها.

فعندما طلبت منها والدة مروان أن ترشح لها عروس لأجل ابنها الآخر فلم تتوان لحظة واحدة ورشحت لها نهى التي تقبلتها من أول لقاء وتم زفافهم على خير.

.....

وبعد انتهاء الفرح اقترب سيف من سلسبيل وتأملها بإعجاب وقال لها: الفرح الجاي إن شاء الله فرحنا أنا وأنتِ يا جميل.

نظرت إليه بضيق ولوت فمها قائلة بهدوء يتخلله بعض العصبية: سيف أنت ابن خالتي فقط لا غير، ومعتبراك زي أخويا مش أكتر، حوار جواز متحلمش أرجوك متتكلمش في الموضوع دا تاني عشان خلصان كدا خلاص.

ثم تركته وابتعدت عنه.

فنظر لطيفها بحزن وغادر هو الآخر ذاهبًا لصالة الألعاب ليخرج ضيقه بها.

فتح هاتفه على أغنية فصدح صوتها بجانبه وهو يتمرن بعصبية وكأن الأغنية صُنعت خصيصًا لحالته فكانت تقول:

"يا اللي حبيبك قاسي وسابك

ويا عذابك اه

انسى عذابك من أحبابك وافتح بابك..

نار نار نار.. وانا قلبي قايد نار..

نار نار نار وأنا حبيبي فايتني في نار..

نار نار نار والفكر خلاص احتار..

نار نار نار..

مكتوبلي اعيش في نار..

حبيتوا وهويتوا واحتاجته ملاقيته..".

.....

أيام تمر تأخذ من أعمارنا ونحن قيد انتظار لما هو مؤجل لنا فقد يسعدنا أو يبئسنا.

قابل مهاب سلسبيل بعد عودته من الشركة التي عمل بها منذ تخرجه وقال لها بحب: هجيب بابا وهنيجي بالليل اتقدملك.

احمرت وجنتيها بخجل ولم تستطع الرد ففرت من أمامه لتحتمي بغرفتها تشتاق لذاك اليوم الذي سيكون فيه زوجها وقرة عينها.

ولكن لا تعلم ماذا يخفي لها القدر!

.....

يسير ذهابًا وإيابًا بقلق وينظر في الساعة كل دقيقة قائلًا بتوتر وقلق: يا ماما بابا أخر أوي وكل ما أرن عليه يديني جرس ومحدش يرد. أنا قلقان عليه أوي، هخرج أدور عليه.

تسلل القلق لقلب فاطمة وقلبها أنبأها بحدوث مكروه لزوجها فحاولت أن تطرد شكوكها وقلقها وقالت: يا مُهاب يابني الغايب حجته معاه، تروح فين بس!! زمانه جاي.

دا قالي هروح مشوار وراجع علطول، يمكن حاجة أخرته في الطريق ولا مفيش مواصلات.

فقال بقلق: طب كان رن علينا يطمنّا مش يسيبنا كدا قلقانيين عليه.

فجأة صدح هاتفه برنين فحمل هاتفه ونظر لشاشة الهاتف ووجد المتصل والده فضغط على زر الرد وقال بلهفة: بابا..

وقبل أن يكمل فجرّ المتصل قنبلته وقال: صاحب الموبايل دا عمل حادثة على الطريق واتنقل للمستشفى.

وقع قلب مُهاب في أخمص قدميه وقال بعجلةٍ: مليني عنوان المستشفى بسرعة..

.....

جلس على كرسي بجانب المُعزيين شارد نظراته تائهه ولا يشعر بأي شيء حوله وكأنه ابتُلع في دوامّة ليس لها نهاية.

فعندما ذهب للمشفى كان والده قد فارق الحياة فالصدمة ألجمته، فوقف ثابتًا بالرغم ما يعتريه من انهيارات بداخله ودّ لو صرخ بكل ما أُوتي له من قوة.

وقف على غُسل والده وسار في جنازته حاملًا نعش والده وقلبه مكلوم ودموعه يكبحها بصعوبة، هو ليس ضعيف ولكن فراق الأحبه يهز الجبال فيجعلها رُكام، فلولا ربط الله على القلوب لجُنت العقول.

بينما والدته فهي صامتة منذ أن علمت ما حدث، لا تصدق أن الجثة التي رأتها لزوجها الحبيب.

فألهمها الله الصبر والسلوان.

وقف مصطفى بجانب مُهاب ولم يتركه لحظة، كان معه بالمشفى وسار في الجنازة والآن واقف ياخذ العزاء معه.

اقترب مصطفى من مُهاب وربت على كتفه بمواساة وقال: ربنا يصبر قلبك يا حبيبي.

كان مُهاب في عالم آخر ليس به سواه مع والده الحبيب، مقتطفات من اللحظات بجانبه أصبحت ذكريات لا تُغني من جوع.

كان له نعم الأب، علمه رباه لم يبخل عليه بأي شيء.

كان له قدوة، لم يكذب عليه قط، كان صديقه وحبيبه وملاذ قلبه، تذكر عند كان يذاكر له ويجذبه لأحضانه ويعلمه أخطائه،

كم أشتاق لحضنك يا والدي.

ففراقك كسرني.

.....

جلست سلسبيل متشحة بالسواد بجانبها والدة مُهاب وعلى الجانب الآخر والدتها كل منهما تواسيها من حين لآخر يحاولن أن تجعلها تبكي حتى لا تراكم بداخلها.

ما إن بكت حتى هطلت دموعهم معها يشاركنها البكاء متذكرين مواقف كثيرة جمعتهم معه. فهو كان نعم الجار.

.....

جاء محمود العزاء وقلبه مكلوم على صديقه لا يصدق ما حدث له، وجد نظرات مُهاب زائغة كأنه بعالم آخر فربت على كتفه وقال بمواساة: البقاء لله.

فلم يشعر به مُهاب.

وجلس محمود بجانب مصطفى وقال بعدم تصديق: والله ما مصدق.

فقال مصطفى: لكلٍ أجل كتاب. ربنا يرحمه.

فأكمل محمود قائلًا: طب تصدق بقى إنه عدىّ عليا انهاردة الضهر وعطاني فلوس أديها لواحدة أرملة بتجري على يتامى. دي عادته كل أول شهر.

بس المرادي جالي بدري 3 أيام وقالي محدش ضامن عمره يا محمود، الست ملهاش ذنب إن الفلوس تتأخر عليها دي عندها يتامى.

وعطاني ضعف الفلوس اللي كان بيديها في كل مرة وكأن قلبه حاسس إنه هيفارق الدنيا.

فتأثر مصطفى وقال: تميم من يومه وهو جدع وبيحب الخير لكل الناس ربنا يبارك في ابنه.

ربنا عسّله و ختمله بعمل صالح ربنا يجعله من أهل الفردوس الأعلى يارب.

فقال محمود بدموع أخفاها: يارب.

.....

خرجت سلسبيل تراقب مُهاب الغائب عن الدنيا فشعرت بألم في قلبها لحزنه.

ما إن انتهى العزاء وشرعوا في تجميع الكراسي حتى ذهبت له وقالت بوهن: مُهاب..

لم يسمعها فكررتها أكثر من مرة
وأخيرًا نظر إليها ولم ينطق بحرف، نظراته مملوءه حزن وقهر وتوهه.
جلست بالكرسي المقابل له وقالت برجاء ودموعها تغرق وجهها :البقاء لله ربنا يرحمه ويغفرله، عمي تميم كان طيب والله، مُهاب رد عليا أرجوك، طب حاسس بإيه!!
نظر إليها وقال بوجع: قلبي واجعني أوي بشكل ميتوصفش،
بابا كان كل حاجة في حياتي فجأة كدا يختفي.
تأثرت وقالت ببكاء: شد حيلك، أنت مؤمن بربنا ربنا يصبرك.
ظل صامتًا فجاء مصطفى وأمر سلسبيل بالعودة للمنزل فاستجابت لذلك وعادت.
ثم قال لمُهاب وهو يجذبه بحنان أبوي من يده قائلًا: كفاية كدا أنت تعبت وواقف على حيلك من أول اليوم يلا بقى ادخل نام يا ابني.
قام بوهن وسار للمنزل ألقى بجسده على السرير وظلت عيونه محدقة في سقف الغرفة دقائق حتى ذهب في سُبات عميق.

.....

مرّ شهران في خلالهم عاد مُهاب لطبيعته تدريجيًا ولكن مازال مكلوم لفقده.
وها هو يُحزم أمتعته ليسافر هو ووالدته للخارج حتى يعمل هناك وبالطبع لن يترك والدته وحدها هنا. فالمكان هنا ضاق به بعد وفاة والده.

ذهب معها لزيارة أسرة سلسبيل؛ ليودعهم قبل سفره.

جلست سلسبيل على الكرسي المجاور له سعيدة بقدومه ولكن عندما أخبرهم بسفره القريب ظهر الحزن على ملامحها وتألم قلبها لبعده عنها.

فقالت له بعتاب: مصمم برضوا على السفر!!

فقال بألم: أه غصب عني، الحال هنا مايل ومش مستحمل أعيش هنا بعد وفاة بابا هكوّن نفسي وأرجع إن شاء الله.

فنظرت إليه بحزن فأكمل بتوهه قائلًا:

هي الدنيا كدا ناس رايحة وناس جاية وناس هترجع وناس مهترجعش.

نظرت إليه بدموع وقالت: أنت فكرك كدا بتطمني!!

رقّ قلبه لها وقال: عشان خاطري متعيطيش، كلام وحدفته اعتبريني مقولتش حاجة.

مفيش بقى تروح وترجع بالسلامة.

جففت دموعها وقالت: تروح وترجع بالسلامة يا مُهاب. خلي بالك من نفسك.

نظر لوجهها وقال: حاضر من عنيا.

دعت لهما سميحة بالعودة سالمين وظلت تتحدث بثرثرة مع فاطمة بمفردهما.

بينما مصطفى جلس مع مُهاب وظل يتحدث معه.

وسلسبيل جلست تحفظ ملامحه التي ستشتاق لها كثيرًا فيما بعد.

(الحلوة دي قامت تعجن في البدرية.. والديك بيدن كوكو كوكو من الفجرية..)

هكذا صدحت سلسبيل بصوتها الكروان عندما رأت والدتها تعجن في الفجرية لتصنع خبزًا شهيًا.

فأكملت قائلة: إيه النشاط دا كله يا ماما!! صباحك فل..

فقالت والدتها بإبتسامة صغيرة ارتسمت على شفتيها: تعالى يا حبيبة أمك، بعمل كام رغيف عيش تاخدهم الست أم مهاب وابنها ربنا يرجعهم لينا بالسلامة يارب.

نظرت سلسبيل للسراب وقالت مُحدثة نفسها بشجن: هعيش إزاي وأنت بعيد عني يا مُهاب!!

مكنتش بستحمل غيابك يوم معقول هستحمل فترة مش عارفين نهايتها إيه!!

جففت دمعة سقطت من مُقلتها ثم نظرت للسماء وقالت بإستسلام: يارب احفظهم ويرجعوا بالسلامة قريب يارب.

****

الحلقة الحادية عشر

جلست على فراشها تجفف دموعها التى هطلت بغزارة، قلبها يرتجف بقوة، فهاهو مُهاب أقرب شخص لقلبها سافر منذ أيام وأصبحت المسافة بينهم أميالًا وأميالًا، ولن تراه كثيرًا كالسابق، سُحقًا لسفرٍ يبعد الأحباب ويمزق نياط القلوب.

استلقت على فراشها باكية تحاول النوم حتى غفت عيناها بصعوبة شديدة وذهبت في ثبات عميق، وجفت الدموع على وجنتيها الحمراوين.

«فى غيابك أنا ضهري مكشوف، ساكِنّي الخوف، وكل حاجة بتخوف.. ومفيش شيء مألوف.

ومش قادرة اواجه العالم وحدي.. قاعدة وحاطة إيدي على خدي، شوقي ليك مبيخفاش، وحنيني ليك منتهاش».

.....

لم يتصل مُهاب سوى مرة واحدة منذ أن سافر وطمأنهم على وصولهما وكانت المكالمة قصيرة لأنه كان مُنهكًا من عناء الطريق. وبعدها قلت الإتصالات ثم انقطعت.

.....

سارت في الدرب تائهه وكأنها ضلت الطريق تدور عيناها هنا وهناك باحثةً عن أي شخص يساعدها، لا أحد الشوارع خالية وكأن الأرض ابتلعت الجميع، الخوف والقلق صديقاها، ظلت تسير حتى ظهرت إمرأة عجوز تجلس بجانب بئر فأسرعت نحوها وبمجرد أن اقتربت منها قالت لها: ستي الحجة ممكن تساعديني!! أنا تايهه ومش عارفه ارجع، قوليلي أعمل إيه!!

نظرت إليها العجوز وقالت: إعطنى كفك أيتها الفتاة لأخبرك سبب تَيْهك..

نظرت لكفها بدهشة ثم أعطته لها فقالت وهى تدقق النظر فيه وتقرأ معالمه قائلة بطريقة أرعبتها:

«فراق وبُعاد وبين بعض بلاد

وانقطاع زاد والوجع فاض

وقلب بيبكي وصوته صريخ

والوصل هينقطع بالسِيخ..»..

تركتها سلسبيل وظلت تصرخ وهى تجري بعيدًا عنها، صراخها يزداد والعرق تصبب على وجهها وفى النهاية استيقظت فوجدت والدتها بجانبها تهدأ من روعها، يا إلهي لقد كان كابوسًا مزعجًا للغاية، ولكن مازال قلبها قلقًا على مُهاب فالإتصال انقطع منذ أيام ولا تستطيع معرفة أخباره.

♡يومي مكنش بيكمل غير بيك.. قولي دلوقت أنا فين الاقيك؟!

♡دموعي مبتنشفش من على خدي..بهديلك حنيني وشوقي ليك ووجدي.

♡العالم بقى فاضي طول ما أنت مش موجود.. قلقانة عليك وبتلعب بيّا الظنون والفروض .

.....

أيام تمر وذِكراه لا تمر، تتذكر أماكن لهوهما عندما كانا صِغار، تتذكر كلماته العذبة وغيرته عليها، مدرستهما، الصيدلية التى كان يعمل فيها، أمام بوابة الثانوية عندما كان ينتظرها عقب إنتهائها من امتحاناتها..

مشاهد ومشاهد لا تصدق أنها أصبحت ذكريات لا رجعة فيها.

وقفت في شرفة المنزل يحن قلبها له، تشتاق له وكأنها تقول:

«فين لياليك عمّال بناديك..

مشتاق لعينيك واحشني لقاك..

بالي مشغول بهواك علطول،

والليل بيطول وأنا مش وياك..» .... .

.....

وفى مساء ذات يوم وعندما كان والدها يستمع لنشرة الأخبار الجمها ما سمعته حيث قال المذيع:

«عاجل:

أعلنت الشبكة الوطنية الكويتية لرصد الزلازل وقوع زلزال بقوة **7.0** درجة على مقياس ريختر في شمال شرق الكويت، وقد أسفر الزلزال عن سقوط مباني بأكملها وترك في اثره العديد من الوفيات".

تذكرت في الحال أن مُهاب سافر لهناك ومن المُحتمل أن يكون أصابه مكروهًا ولكن عقلها الغى كل شيء ولم يتبادر لذهنها سوى صورة مُهاب فاقد الحياة..

فسقطت أرضًا مُحدثة صوت ارتطام قوي.

.....

(وكأن مآتم الأحزان كلها أُقيمت في قلبي يا أمي)

لم يدرِ والدها بما يخبرها فقد حاول الوصول لأي معلومات تصلهم لمهاب ولكن كانت النتيجة أن المبنى الذي كان يسكن به سقط بأكمله ولم ينجو منه أحدًا..

ولكن سلسبيل سمعت حديثه هذا ذات مرة فما كان منها سوى انها ظلت تصرخ غير مصدقة ما حدث وهي تردد: لأ مهاب عايش مماتش، ارجع يا مهاب ارجوك.

هدأت واستكانت عند غرز حقنة المهدىء بوريدها لعل هذا سيخفف عنها قليلًا من قسوة الواقع ولكن الواقع لا يرحم فأحيانًا يأتي في الأحلام على هيئة كوابيس بشعة.

♡سبتني من غير كلمة وداع.. سبتني من غير ضمّة أو عناق. سبتني وعيشتني لحظات الفراق)

.....

«التجاوز خدعة فلا أحد ينسى تلك الغُصة التى حلت محل طمأنينة قلبه».
عيناها يسكنها الحزن ككهفٍ مهجور، خالية الوفاض والأمل منها مبتور، أصبحت بقلب عجوز انهكه السير، تناقص وزنها ولم تعُد تهتم بذاتها كالسابق، كانت وردة ودبلت، تصبّغ وجهها بالهالات السواء،ودبلت عيناها..
فكيف لها أن تتجاوز غياب وموت من كان لها بمنزلة أخ وحبيب وجار ورفيق وتؤأم لروحها!!
كل العالم أجمع أنها تبالغ في حزنها لفقده ولم يكن بينهم أي رابط فلا هو زوجها أو خطيبها فلمَا كل هذا الحزن لفقده!!
ماذا تفعل وكيف تحيا بدونه!!
بعد أن كانت جميلة الجميلات وتقدم إليها الكثير رفضتهم جميعًا والآن توقف قطار العرسان لطلب يدها ووصفها الجيران بالمجنونة لصراخها من حين لآخر كلما تذكرت مهاب.
لم يعنيها الزواج فمن كانت تريده مات..
ولكن شخصًا واحدًا هو من استفاد من هذه الظروف وأخيرًا أتت له الفرصة على طبقٍ من دهب ألا وهو سيف، فهذه فرصته للزواج من حبيبته سلسبيل.
استطاعت فريال أن تقنع سميحة بزواج سيف من سلسبيل فهو أولى بها من الغريب وسيرضى بها على عيبها ولن يفضح أمرها أو يهينها يومًا.

وبالرغم أن الكلام أوجعها الا أنها كأي أم تخشى أن تفارق الدنيا وتترك أبنتها وحيدة بدون زوج يعيلها ويحميها.

.....

لم يكن لديها خيار آخر سوى القبول به زوجًا فقد واجهت ضغطًا من والديها وعليها أن توافق.

شهور مرت على فقدان مهاب اعقبه زواجها من شخص نفره قلبها ولم تدرك يومًا بأنه سيكون زوجها ذات يوم.

ولكن لا تأتي الرياح دومًا بما تشتهي السفن.

.....

يقولون أن أسعد يوم في حياة الفتاة هو يوم زفافها وارتدائها الفستان وهي في قمة سعادتها، ولكن كيف الحال بمن تزوجت شخصًا غصبًا وتبغضه فوالله ليكون يوم الزفاف تعيسًا، وسيكون الفستان بالنسبة لها كحبل المشنقة.

وفي أول يوم زواج ظلت تنظر لنفسها بإشمئزاز لا تطيق روحها ولا ذاك الشخص الذي حكم عليها الزمن أن يُغلق عليهما بابًا واحدًا.

اقترب منها بإنتصار كأسد حصل على فريسته في الحال فابتعدت وقالت بخوف: متقربش مني.

ظل يقترب ببطىء ونظر لها بمكر وقال وهو يغمز لها وعيناه تحوم على جسدها قائلًا: مقربش إزاي بس!! دا أنا متجوزك مخصوص عشان اقرب براحتي.

أحكم قبضته عليها ولم تستطع الفرار من بين يديه كأنها عصفورة محبوسة في قفص حديدي مكسورة الجناح مُقيدة بسلاسل مُصابه بحمى مشلولة القدمين واليدين.

لم ترَ معه يومًا جميلًا فكل يوم تتأكد أكثر أنه تزوجها ليس حُبًا فيها بل عِنادًا وتحقيق رغبته بها لا أكثر.

حاولت أن تتأقلم معه تراعيه وتهتم به لأنه زوجها كما قال الشرع، فقد نصحتها والدتها مِرارًا بألّا تخرب بيتها وعليها أن تحافظ على زوجها.

ولكنه كان جاحدًا معها لا يرفق بها ولا يهتم بأوجاعها ولا يراعي ضعفها، كان يتعامل معها ببرود، كان دائم الشك بها، وينتهك خصوصياتها ويفتح هاتفها يبحث به عن أي شيء ليتهمها بالخيانة، كان دائم الضرب لها، فلا هو يراعي الله فيها ولا هو يتركها تهنأ بحياتها.

كسر قطارها في صِغرها، ودمّر حياتها عندما كبرت، فالأنانية والنرجسية ملكته وستهلكه كما دمّر حياة تلك البريئة.

«عطيتله الأمان، رسملي الجحود.

قابلته بود قابله ببرود..

اتهمني بالكدب وجاب الشهود.

ولا في مرة حبني ومن يومه وهو حقود.
حبسني جوا منفاه، كسر جناحاتي عشان أفضل ويّاه..
أصله مُصاب بداء التملك. اللي آخرته هتكون هلاك.
لو بس يعترف بغلطه.. بس دايمًا شايف نفسه ملاك.
حياتي معاه مكنتش وردي، حياتي معاه كانت بلاك.
محترمش ضَعفي وأوجاعي.. وخصوصياتي عملها انتهاك.
لو بس ألاقي آلة زمن.. بالزمن هرجع فري باك.
وهكرر رفضي وعمري ما هوافق عليه..
مش معقول هرمي نفسي في المُر دا ليه!؟
الأحلام دخان بيطير في الهوا كأنها سراب بالأرض استوى..
لإني ظمآنه شايفه بعنيا.
ولما قربت مفيش شيء لاح.
واقعد ابكي على الجِراح وكأني طائر مكسور الجناح.
والمكتوب على الجبين غصب عنّا هنشوفه، مش هيمنعه دموع او حتى حذر..
لأنه للأسف دا قدر، والقدر مبيتغيرش وإحنا صابرين ومبننساش»..

.....

أثناء ترتيبها لملابسه وجدت ورقة مطوية في جيب بنطاله فأخذها فضولها لفتحها وكانت المفاجأة..

لقد كانت ورقة زواج عُرفي، زوجها الذي ليس به أي ميزة تجعلها تستمر معه قد تزوج عليها، تتحمل إهاناته المستمرة وإذلاله لها وفى النهاية يتزوج عليها، حتى طلاقها يرفضه.

يا له من خسيس أحمق.

كانت هذه فرصتها لتطلب الطلاق منه مرة أخرى، فذهبت لزيارة والديها وقصّت عليهم كل ما أخفته الأيام الماضية وما علمته اليوم من زواجه العُرفي.

طفح بها الكيل وقالت بإنهيار: أنا مستحيل أكمل معاه انا لازم أتطلق وحالًا.

نظرت إليها رباب بشفقة وحزن ، بينما مصطفى شعر بالحيرة والعجز لأنه كان يعلم ان سلسبيل لا تحب سيف وبالرغم من ذلك وافق على زواجه منها.

بينما سميحة قالت محاولة ألا تخرب بيت إبنتها قائلة: طب ممكن نكلمه إنه يطلق مراته التانية وكدا المشكلة تتحل.

فقالت سلسبيل بعصبية: مشكلة إيه اللي تتحل! أنا خلاص جبت أخري منه ومش هقدر أكمل معاه.

عيشت معاه في ذل وكدب وضرب وإهانة ملهاش أول من آخر، خلاني كرهت نفسي ومبقتش طايقة روحي.

مقدرنيش ولا احترمني وكأني جايه من الشارع، استحملته كتيير وعيشت بحجة إن بيتي ميتخربش بس خلاص فاض بيا.

ليه بتعملوا فيا كدا! ليه رمتوني الرمية ديه!؟ لييييييه!!؟

انهارت فوقعت فاقدة وعيها لتستيقظ بعدها بدقائق لتتفاجأ بخبر حملها.

علم سيف بحملها فأتى لزيارتها وقال بعصبية: أنا قولتلك مش عاوز خلفة دلوقت، إيه مكنتيش بتاخدي الحبوب!

نظرت للفراغ وقالت بوجع: ومين قالك إني كنت عاوزه أخلف منك!! أنا كنت حريصة اوي على حبوب منع الحمل بس دا أمر ربنا.

وبعدين أنت بتعاتبني ليه! المفروض انا اللي اعاتبك على جوازك العرفي مع إني عارفه إن خسارة فيك العتاب. مش أنت مش عاوز اللي في بطني وانا مش عوزاك!

طلقني يا سيف بقولك طلقني.

أتى مصطفى على صراخها وقال بحزم: طلقها يا سيف طلقها.

كنت فاكرك هتحميها ومش هتيجي عليها في يوم بس انت معملتش ليها ولا لينا أي اعتبار.

طلقها وسيبها في حالها وشوف حالك أنت كمان.

.....

أخيرًا شعرت بالحرية بعد طلاقها وإن لم تنجو من هذه الزيجة فقد خرجت منها بطفلة تنمو داخل أحشائها. ..

.....

أيام عصيبة مرت عليها تشتاق لطفلتها وتتحدث إليها آمله ان تكون عوض لها عما قاسته في حياتها.

أخرجت صورة صغيرة لمهاب مازالت محتفظة بها بكت لتذكرها له وقالت بأسى: وحشتني أوي، شهور عدت على غيابك ولا مرة حسيت إنك فارقت الدنيا دايما حاجة جوايا بتقولي إنك عايش وهترجع.

«ذات مساء سافر الحبيب،

ووعدني إن في يوم هيكون اللُقا.. ومرت أيام وسنين.. وجرفني ليه الشوق والحنين.. واتوجعت في غيابه، واتصاب قلبي بالأنين.. فضلت عايشة على أمل أنه يرجع وأعيش وياه.. مش قادرة أنساه. أصل أنا واقعه في هواه. وجع الغياب كأنه أشواك وبالرغم من كدا لسه بهواك. وبشتاق للقاك واعيش وياك».

.....

جميلة هي مثل ابنته التي تركها ولم يعترف بوجودها ولم يغدق عليها حبًا وحنانًا، ولم يشبعها من حنان أُبوته، جعلها تعيش اليُتم برغم وجوده على قيد الحياة، يشعر بالذنب لتركها كل تلك السنوات بدون أن يعرف عنها أي شيء وكأنها لا تهمه وليست من صُلبه، كم يشتاق لحضنها، يود أن يراها

ويعترف لها بأنه ظلمها وعليها أن تغفرله ما اقترفه في حقها،حتى يوم زفافها ذهب غصبًا لكتب كتابها وتركها بدون مباركة وكأنها ليست ابنته، كان دومًا يراها قطعة من تلك المرأة التي كرهها ولم يحب أفعالها ولم يطق وجودها، وهي لم تحبه يومًا وكانت تعشق غيره ولكن اهلها اجبروها على الزواج منه.

كل هذا دار بعقله وهو يتأمل طالبة في الفرقة الأولى تجلس أمامه في مدرج المحاضرات.

فوقف امامها وحمل كتابها وقرأ اسمها وقال بتساؤل به تأكيد: رهف سراج!

أنتِ بنت سراج وضحى !؟

ظلت صامتة تستوعب ما قاله، كيف يعرف والديها! ومن هو!!؟

فقالت: اه فعلًا، حضرتك تعرفهم!!؟

فقال بلهفة: طبعًا كنت اعرفهم،وعاوز اعرفهم تاني. اديني رقم والدك.

لم تفهم مقصده ولم يأتي ببالها أن تقارن اسمه باسم والد والدتها. لكنها أعطته الرقم وتواصل معه.

.....

لم تستطع نطقها، كيف تقول بابا وهي لم تنطقها قط بعمرها، وقفت مصدومة مذهولة من قدومه ووقوفه أمامها.

منذ قليل أخبرها زوجها بقدوم ضيف عزيز وعليها أن تتهيأ لإستقباله، لم تتوقع قدوم هذا الشخص الذي كرهته كرهًا ليس له وصف، حرمها من أبوته وغاب عنها، جعلها كاليتيمة التي ليس لها سند.

فقالت صارخة وهي تبعده بشراسة غاضبة: أنت جاي هنا ليه!!؟ انا بكرهك ومش عاوزه أشوفك، امشي مش عوزاك، جيت هنا ليه، وجاي بعد إيه؟!

صرخ بها سراج قائلًا: غلط كدا يا ضحى، دا مهما كان أبوكِ وجاي يعتذرلك تقومي تقابليه بالشكل دا!!

فقال والدها بدموع: سيبها تطلع اللي جواها.

نظرت لزوجها وقالت بغضب: يبقى أنت اللي جبته صح!

فنظر اليها وصمت.

فأكملت قائلة بسخرية: يعتذرلي على إيه ولا إيه ولا إيه!؟ على انه سابني لوحدي مع ام متعرفش معنى الحنان! عن ولا مرة شافني فيها وشبعني من أبوته!؟ عن اليُتم اللي عيشني فيه وهو لسه عايش؟ عن خوفي وتعبي ومحدش كان حاسس بيا غير ستي دهب الله يرحمها.

عن ايام عدت وكان نفسي يكون جمبي فيها!؟ عن يوم فرحي اللي كان ناقص بوجوده وفرحته ليا من كل قلبه.

فقال والدها بندم ودموع حاول اخفائها: غصب عني الدنيا كانت سرقاني وشيطاني كان سايقني،مفقتش غير بعد فوات الآوان.ندمان على كل اللي سويته في حقك.

كنت غاوي سفر وحياة بالطول والعرض، كنت راميكِ ورا ضهري. وجوازتي التانية انتهت بالطلاق.

انا بكيت دم من الماضي اللي كله وجع سببتهولك. انا طالب منك بس تسامحيني ومش هوجعك تاني وهعوضك عن كل اللي فات وعد مني يا بنتي.

لاحظ سراج علامات التردد على وجه ضحى فقال: افتكري انه أبوكِ وجالك كمان لحد عندك يعتذرلك متقفليش بابك في وشه، عشان هتندمي وساعتها مش هينفع الندم.

تأثرت بكلمات سراج أكثر شخص تثق به وتلقائيًا القت نفسها بأحضان والدها ولأول مرة تبكى فرِحة في حضنه. طال الحضن ليروي ظمأ سنين عُجاف قاحلة مرت.

وكأنه مشهد سينيمائى جميل مُعّبق برائحة الزهور.

..

بحث سراج عن والدتها فوجدها في دار مسنين، قد القاها ابناءها من طليقها الثاني، لم يتحملوا مرضها فألقوها كالقمامة أمام إحدى دور الرعاية.

أسرعت خُطاها نحوها فوجدتها على سريرها متعبة، جسدها ضَعُف للغاية.
فأقبلت نحوها بلهفة وقالت بدموع: ماما.
دققت النظر بها وقالت بتساؤل: أنتِ مين؟!
فقال ضحى وهى تضع يد والدتها على وجهها: أنا ضحى بنتك يا ماما مش فكراني؟؟
فبكت وقالت: بنتي! ضحى! وحشتيني، سامحيني يا بنتي على اللي عملته فيكِ. حقك عليا كنت مستقوية.
وضعت يدها على فمها تمنعها الحديث وقالت: ولا كلمة انا هاخدك معايا يا حبيبتي هراعيكِ واهتم بيكِ.
رفرف قلبها فأخيرًا اصبح والدها ووالدتها بجانبها.، يا له من حلم جميل قد تحقق أخيرًا.

.....

رزق الله سلسبيل بطفلة أسمتها "وتين" كانت جميلة للغاية، ضحكتها تنسي الهموم، يا لها من بريئة. وكأنها فيض من البهجة. هاهو عامها الثانى مرّ فزادت معه جمالًا، وكانت السعادة التي ملأت منزلهم.

.....

جلست رباب مع سلسبيل وقالت بحزن: هتفضلي كدا يا سلسبيل موقفة حياتك!؟

شردت سلسبيل و قالت بوجع: جوازتي الأولى دي كابوس منيل بنيله ومش عارفه أفوق منه، وماضي أسود مش عارفه اتجاوزه، وشريط كله ومضات سوداء، ونفسي بتجلدني كأني المذنبة الوحيدة،ولا قادرة أسامح نفسي ولا هي راضية تسامحني بتعند فيّا وبتقاوحني.

انا مش قادرة انسي الماضي، نظرات الناس لي كمطلقة، حاسه اني بقيت مشوهه.

شعرت رباب بوجع شقيقتها فقالت مهونة عليها: تعرفي يا سلسبيل ان كل انسان مننا جواه ثقب اسود زي ثقب الاوزون كدا!!

فقالت بتساؤل وجهل: ازاي!!

فقالت شارحة:

«الثقب دا عبارة عن وهم الإنسان بيبنيه جواه وعادات وتقاليد متخلفة وماضي مش قادر يتخطاه وخوف من اللي جاي وفقدان ثقة ويأس من الحاضر وفشل بياكل الإنسان من جوه، كل دا لو مواجهتوش وصارحتى نفسك بكدا ووقفتى زي الجندي تحاربي قصادهم عشان تغلبيهم صدقيني الثقب هيكبر لو سِكتِ، لازم تحاربيهم وتهدمي الوهم اللي بنيتيه، لازم تتعلمي انك تثقي في نفسك وتقفي على رجلك لوحدك من تاني من غير ما تسندي على حد، وفكك من اي عادات وتقاليد متخلفة هتقيدك وتمحي

حريتك، اسعي واعملي اللي عليكِ ومتخافيش من اللي جاي لأنه كل خير بعون الله".

فصممت سلسبيل أن تعمل لأجلها هي وابنتها، فهي خريجة كلية الألسن وستجد وظيفة تشغلها في أي شركة.

اجتهدت في الكورسات ولم تيأس في بحثها عن عمل حتى تم قبولها في شركة كبيرة للعمل بها.

.....

لم تسلم من كلمات الناس السامة وغمزهم ولمزهم وكأنها هي المذنبة الوحيدة لأنها أصبحت مطلقة ومعها طفلة، فمجتمعنا هذا يحقر من المطلقات وكأن الذنب ذنبهن هن فقط بالرغم إن الزوج قد يكون هو السبب في ذلك.

وبعض الناس كانوا يحسدونها لأنها استطاعت ان تقف على قدميها من جديد بالرغم من كل ما عانته وواجهته.

«ميغركش جمالي المرسوم، وضهري المصلوب، وكمالي المزعوم، والله أنا حالي مقلوب، وجوايا كسر غير قابل للإصلاح، ومناطق عتمة محتاجة مصباح، وكراكيب مدفونة بحاجة للإفصاح»..

.....

تبدو قلقة للغاية من ذاك السفر المفاجىء، فتحتم عليها السفر لفرنسا لعمل تابع لشركتها وذلك نظرًا لكفائتها وما جنته من نجاح الأيام السابقة.
لم يعترض والديها بل وافقا ورحبا بذلك،فالأمر بالنسبة لهما تعويض لها عما فقدته الأيام السابقة لعدم سعيها لعمل وتحقيق أهدافها التى رسمتها سابقًا ولزواجها الذي أتى غصبًا وأحرق بداخلها بهجة الحياة.
فقالت سميحة: روحي يا بنتي وشوفي حالك وبنتك في عينيا.
مضى اليوم وقد ودّعت والديها وشقيقتها على أمل بلقاء قريب وعودًا حميدًا، ولم تتوقع ما أخفاه لها القدر.

****

الحلقة الثانية عشر

دلفت لغرفة الإجتماعات بفرنسا المكان جميل ذو مساحة شاسعة جلست منتظرة مدير الشركة الأخرى والذي بمجرد دلوفه تلاقت الأعين بدهشة وصدمة وحِيرة كأدت أن تُجن، كيف حدث ذلك!

قالت بدهشة: مو مو مو هااب!

لم يصدق هو الآخر ولكن على الأقل صدمته أقل منها فهي ظنته فارق الحياة كما قيل لها.

ابتسم وقال بمزاح : إيه الشريط سف ولا إيه!؟

فقالت بتأتأة ممزوجة دهشة وحيرة وصدمة: أ.. انت عاااايش!!؟ طب طب ازاي بس! أنا كنت حاسه إنك هتطلع عايش بس معرفش إزاي؟!

فقال متسائلًا: أنتِ عرفتي إزاي أني فارقت الحياة!؟

وتلقائيًا أُعيد مشهد الخبر في ذاكرتها كأنه حديث العهد وشعرت بوخز في قلبها وكأنها تستمع للخبر للتو وقالت: من الزلزال اللي وقع البيوت من كام سنة وكان في نفس المنطقة اللي انت كنت ساكن فيها.

فقال شارحًا وهو يشعر بوجعها: هحكيلك عن كل حاجة.

فقام بتأجيل الإجتماع ثم أخذها لأحد المطاعم وهناك شرع في الحديث عمّا حدث له السنوات الماضية فقال: قبل الزلزال دا ما يحصل بكام ساعة

بس كان عندي اجتماع في بلد تانية ونظرًا لإني مش هقدر أسيب والدتي لوحدها فترة طويلة لمينا حاجتنا و سبنا السكن خالص بس بعدها بفترة والدتي تعبت جدًا تعب ميتوصفش وللأسف بعدها ماتت. بس قبل ما تموت كان نفسها في عمرة وفعلًا ماتت وهي بتعتمر وادفنت هناك.

صمت يبتلع مرارة بحلقه فشاركته ألمه وقالت بحزن واسى: إنا لله وإنا إليه راجعون، ربنا يرحمها ويصبرك يارب.

فأكمل قائلًا: يارب، حسيت ساعتها أن الدنيا سودا في وشي ومكنتش عارف اعمل إيه!؟ خصوصًا إني مكنتش لسه تخطيت وفاة بابا.

فكنت تايه ومشتت ومعنديش رغبة في أي حاجة، قلبي كان واجعني أوي أوي.

فبكت وقالت بعتاب : طب ليه يا مهاب مطمنتنيش عليك حتى!! ليه سبتني كدا؟!

فقال بندم: غصب عني والله مكنش بإيدي، أنا كنت في وضع صعب ومكنش ينفع اربطك بيا، ولا اتواصل معاكِ عشان متتعلقيش بيا،اصلا انا كنت في دنيا غير الدنيا، كنت عامل زي الغرقان ومش عارف يوصل للشط الموج كان واخدني وجرفني اوي

حتى لما فوقت من اللي انا فيه وجيت انزل عشانك عرفت قدرًا انك اتجوزتي، ساعتها كان هاين عليا اقتل نفسي واخلص مهي كملت من كله وخسرت كل حاجة، كنت ندمان اني ضيعتك من ايدي، بقيت اهري نفسي

شغل ليل ونهار عشان مسبش لنفسي فرصة اشغل تفكيري بيكِ بس مكنتيش بتفارقي بالي لحظة، انا اتعذبت اوي كنت مقهور بطريقة بشعة اوي.

بكت بحُرقة وقالت: بس انا تعبت أوي يا مُهاب يا غيابك.

أنا الدنيا قست عليا اوي، اتجوزت اخر شخص كنت اتمناه، وجعني اوي قهرني وداس عليا، خلاني زي الوردة الدبلانة اللي معدتش ينفع تتروي تاني.

تألم قلبه لدموعها التي هطلت بغزارة وكان يود أن يأخذها بين احضانه يروي شوقه منها ويكفكف دموعها فقال بصدق ومواساة: حقك عليا من كل الدنيا يا كل الدنيا. هعوضك عن كل حاجة وجعتك ومش هسيبك أبدًا، هزرعك من تاني وهتكوني أجمل وردة في البستان. اديني فرصة عشان نجتمع ونكون مع بعض بس المرادي محدش فينا هيفارق التاني ابدًا.

.....

«أن تنال ما صبرت لأجله..

تلك الوخزات التي تلاشت بقدوم مرطب الجروح، رفيق القلب والروح، الحبيب الأول، والزوج المثالي المدهش، ذاك الشخص الذي معه تنسى متاعب الحياة وهمومها، من احبها في كافة ظروفها ومراحلها، من تقبل ابنتها عندما اتى للزواج منها واعتبرها هدية من الله وفرد ثالث يشهد على حبهما،

فبعد أن لعبت بك الحياة جولات ها قد تركتك تنتصر وتظفر بنصرٍ سعيد، تجمع عائلي كبير، لزفاف مهاب وسلسبيل.

من كان يصدق ان هذا سيحدث بعد كل هذه الصدمات والاوجاع! يجتمع الحبيب بحبيبه فقط عيونهم تتحدث بكل شيء محبب للقلوب، فلغة العيون من اصدق اللغات.

.....

صحيح يا ماما هي خالتي فريال مجتش فرحي ليه؟

هكذا قالت سلسبيل متسائلة،

فقالت والدتها بتشفي:كانت مع ابنها في المستشفى

اصل مراته الأخيرة بيعته اللي وراه واللي قدامه، مبقاش حيلته حاجة اتجلط بعيد عنك. دا اخره دلعها ليه وجوازاته الكتير،وكله كوم واللي عمله فيكِ كوم.

فقالت سلسبيل: اللّٰهُمَّ لا شماته. ربنا يسامحه بقى. .....

جائها اشعار من هاتفها بوصول رسالة من "حبيب القلب والروح" محتواها (اهديكِ سمبوستين، اول حرفين لعدوك، والباقي على عيونك» إلى صديقة البدر حبيبة الورد رقيقة القلب والنية)..

احتضنت هاتفها بلهفة وعشق وكأنها بذلك تعبر عمّا بداخلها من هيام لحبيبها وكلماته الرنانة.

.....

(انهارده أجمل يوم في حياتي يا حياتي)

قالها مُهاب وهو يحمل بين يديه باقة زهور في غاية الروعة فقالت سلسبيل بتساؤل: اشمعنى؟

فقال بإبتسامة زينت ثغره: انهارده 3/2 اليوم اللي اتولدت فيه أجمل زهرة في حياتي كلها.

فشعرت بالسعادة والقت نفسها في أحضانه وقالت: وكمان اتولد فيه أجمل مُهاب في الكون ربنا ميحرمنيش من وجودك في حياتي.

فقال بهيام: يارب يا عيوني ثم أخذها من يدها برفق وقال بمرح: تعالى اوريكِ حاجة.

رفع السِتار عن اللوحة الكبيرة وقال بسعادة: دي اول مفاجأة.

سعدت بها للغاية، كانت لوحة تجمع صورهما معًا اثناء طفولتهما، احداهم في منزل سلسبيل أثناء عيد ميلادها واخرى في حفلة الزفاف عندما صعدا للمسرح، وأخرى في مسرحية المدرسة التي شاركت بها سلسبيل، والكثير من الصور في اماكن متعددة. ظلت تدقق في الصور وتتذكر مشاهد من الماضي.

فقال مهاب: عجبتك!؟

فقالت وهي تقفز من الفرحة: طبعا عجبتني دي احلى مفاجأة دي. يااه فكروني بزمان. وجمال ايام طفولتنا.

فقال: ندخل بقى على المفاجأة التانية: اخرج تذاكر سفر وقال: هنطلع نعمل عمرة وبعدين نطلع على فرنسا مقر شركتنا الجديدة.

بكت فرحًا وقالت: هو انا قولتلك قبل كدا انك احسن مُهاب في الكون. انا بحبك اوي اوي.

ضمها بذراعه وقال بعشق: وأنا بعشقك وبعشق تفاصيلك، فاكر اوي تاريخ خطوبتنا، وتاريخ جوازنا، وتاريخ كتب كتابنا، وتاريخ اول يوم قلبي دق ليكِ، وتاريخ اول مرة قولتيلي بحبك، فاكر اوي كل حاجة جمعتنا ببعض حتى ذكرياتنا زمان لما كنا أطفال.

نظرت إليه ببراءة مُغلفة بحب وقالت: مُهاب أنا عملالك مفاجأة. أنا حامل.

تأمل ملامحها بحب وسعادة طاغية ثم قبّل بطنها ومسح عليها وقال: دي أجمل مفاجأة يا سلسوبتي،ان يكون ليا طفل منك .يا سلام الفرحة مش سيعاني.

فأكملت قائلة: ولو ربنا رزقنا بولد هنسميه تميم على اسم والدك الله يرحمه.

فشرد مهاب في ذكرى والده وقال: وحشني اوي تيجي نزوره؟

.....

وقفا أمام قبره رائحة عطره تفوح منه وحوله الشجر والزهور، لقد كان رجلًا طيبًا حسِن السيرة رحمه الله.

دعا له من قلبهما ثم قال مهاب: عارف يا بابا، بعد كام شهر إن شاء الله هيكون عندي تميم الصغير. مسّد على بطن زوجته وقال: ربنا يقومك بالسلامة. .....

.....

سافرا للسعودية وقاموا بآداء مناسك العمرة فغُسلت قلوبهما من الأحزان وارتوت من زمزم ثم ذهبا لزيارة قبر والدة مهاب ومن ثّم سافرا لفرنسا حيث مقر شركة مهاب.

.....

مهاب اصحى، انت خُنتني يا مهاب، ليه كدا بس عملتلك إيه!؟

استيقظ على بكائها وصراخها وهي تشده من تلابيبه تكاد تخنقه فقال بعدم فهم: خُنتك فين يا مجنونة وانا لسه صاحي ومش دريان بنفسي أصلا!؟

فقالت بدموع: أنا حلمت إنك خنتني.

ضحك وقال: يعني البهدلة دي على الصبح عشان حته حلم، طب والله عمري ما خُنتك. ولا قلبي عرف غيرك ولا عمري حبيت غيرك. أنتِ تؤام روحي أصلًا يا سكر حياتي أنت.

فقالت بهيام: بجد يا مهاب!؟

فقال: بجد يا عيون مهاب من جوا. عارفه ليه؟!

فقالت: ليه؟!

فقال: عشان يا سلسبيل أنا من حُبك ارتويت.

كل شيء بحياتي استطعت أن أجد له بديلًا سواك،أنت فقط الذي لم أرى لك بديلًا وكأنك نسخة واحدة في العالم أتيت؛ لتشفي روحي من مخلفات الدنيا ومشكلات الحياة وأسى الماضي، معك أنت فقط شعرت بالأمان الذي لا يعكره أي خوف).

وهذه هي الحياة عسر فيُسر ثم عُسر فيُسر، وخسائر حينًا ومكاسب حينًا وفي النهاية الخِيرة فيما اختاره الله.

محتويات الرواية

إهداء.....4
المقدمة.....5
البـدايـــة.....6
الحلقة الثانية.....18
الحلقة الثالثة.....28
الحلقة الرابعة.....38
الحلقة الخامسة.....48
الحلقة السادسة.....62
الحلقة السابعة.....73
الحلقة الثامنة.....80
الحلقة التاسعة.....90
الحلقة العاشرة.....99
الحلقة الحادية عشر.....111
الحلقة الثانية عشر.....129
محتويات الرواية.....137

dewanalarabegypt@gmail.com

01030502390

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.